الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

مسار : تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

الحركة الإصلاحية ودورها في تفجير الثورة التحريرية (1954- 1956)

(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا)

من إعداد الطلبة :

- **محمدي فاطمة نسيمة**
- **ميلودي جمال**

تحت إشراف الأستاذ :

- **بوسلامة محمد**

أعضاء اللجنة المناقشة

د. بكاري عبد القادر _____ رئيسا

د. مداح عبد القادر _____ مناقشا

أ. بوسلامة محمد _____ مشرفا

السنـة الجــامعيــة

1438 هـ / 1439 هـ - 2017م / 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين، الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وزودنا بالصبر لأداء الواجب ووفقنا إليه بتمام إنجازه.

نتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا وشجعنا لانجاز هذه المذكرة .
اخص بالذكر الأستاذ المشرف "بوسلامة محمد" الذي أطال الله في عمره والذي تفضل بقبول الإشراف على الدراسة و متابعته المستمرة كما كان نعم الناصح و الموجه وجزاه الله عنا كل الخير.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عنا قراءة المذكرة بطول بال و صبر .
إلى كل أساتذة قسم التاريخ والى من قدم لنا يد العون و المساعدة ولو بكلمة طيبة.

إهداء

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله، إلى من آثرني على نفسي أمي العزيزة
إلى من هم اقرب إلي من شاركني حضن الأم إخوتي و أخواتي
و إلى الكتكوتة الصغيرة رنيم والى صديقتي زهرة .

إلى كل عائلة محمدي وعائلة غلام الله
و من ضاقت السطور من ذكرهم وسع قلبي لهم .

إليكم جميعا والى كل من نسيهم قلمي و لم ينساهم قلبي اهدي هذا العمل المتواضع.

فاطمة نسيمة

إهداء

اهدي عملي المتواضع إلى من ربياني على الفضيلة و مكارم الأخلاق

إلى من علماني أن العلم لا يفنى
إلى من غرسا في حب المثابرة و الاجتهاد

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله و رعاهما
إلى إخوتي وأصدقائي
ولا انسي البراعم الصغار

جمال عبد الباسط

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

ط	الطبعة
ج	الجزء
د. س	دون سنة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
ص	صفحة
ج. ع. م.ج	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ع	عدد
اع	إعداد
ص. ص	تعدد الصفحات
د. م. ن	دون مكان النشر
تص	تصدير
هـ	هجري
م	ميلادي

p	صفحة
p.p	تعدد الصفحات
Op, cit	المرجع السابق

مقـــدمـة

لقد تردت أوضاع الجزائر إبان حقبة الاحتلال الفرنسي إلى درجة دنيا من الانحطاط الفكري ،الديني و الاجتماعي و أوشكت مقومات الشعب الجزائري على الفناء بسبب رواسب التخلف و الجمود ، وبفعل سياسة المسخ الاستعماري لمقومات الشخصية الجزائرية و التي عملت على محاولة القضاء على الدين الإسلامي و على اماتت اللغة العربية و على تشويه التاريخ الجزائري و تجهيل المجتمع و تفقيره و تفكيكه.

و في هذه الظروف كان ظهور الحركة الإصلاحية و التي يقودها جلة من العلماء المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 5 ماي 1931م فقد كان ظهورها في فترة عصيبة من تاريخ الأمة و استجابة موفقة لحاجات الدين في المجتمع الجزائري ، و تحديا صارخا للوجود الاستعماري إذا كانت أكثر الحركات الوطنية وعيا بخطورة الوضع و تحملت أعباء الصلاح الشامل لأوضاع الجزائريين و عملت على إيجاد نهضة علمية أدبية ودينية تشمل جميع مقومات الأمة الجزائرية تمهيدا لتحريرها من الوجود الاستعماري.

كذالك من أهم أهداف الجمعية هو محاولة تصفية الموروث الثقافي السلبي خاصة تلك الانحرافات المتولدة عن الفكر الصوفي الطرقي الذي كان يسيطر على مجالات المجتمع الجزائري و استسلام زعماء و شيوخ بعض الطرق الصوفية للإدارة الاستعمارية بعد أن توفي مؤسسوها ، فخدموها و تعاونوا معها قصد الحصول على الجاه أو المال أو السلطة و النفوذ و لهذه الأسباب بدأت علاقة التصادم و الصراع بين الجمعية و الطرق الصوفية المتمردة على اعتبار إن كل اتجاه يرى انه الأصح و انه على طريق الصواب .

من اليسير أن نثبت أن لجمعية العلماء نشاطات في الميدان التربوي و الديني و الثقافي ، ومن العسير أن نثبت أنها خاضت في الأمور السياسية و لنثبت هذه الحقيقة لا نبتعد كثيرا عن برنامجها الواضح (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا) فالاعتراف بأهمية العلماء في إظهار وولادة عمل جديد ساعد على خلق حدث جديد تاريخي في الجزائر، إن أهمية اللغة و الإسلام في الثورة جعل من العلماء بمثابة رسل لها .

و بذالك نقول انه وتحت ستار العمل الديني البحث و نشر التعليم و التهذيب ، و دروس الوعظ و الإرشاد كانت جمعية العلماء تخوض في الأمور السياسية و توجه الشعب الجزائري توجيها عربيا و إسلاميا و وطنيا يتناقض تمام التناقض مع سياسة الاحتلال و التوجيه .

وقع اختيارنا لهذا الموضوع كونه من المواضيع الهامة و الهادفة في تاريخ الجزائر، و ذلك من اجل توضيح التطورات التاريخية التي شهدتها الجزائر إبان الثورة التحريرية حيث تتمثل أهمية هذا الموضوع في إبراز دور الحركة الإصلاحية في الثورة التحريرية و مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تأسست بفضل جهود رجال الإصلاح الذين سعوا إلى نشر الحركة الإصلاحية في أنحاء الوطن و ذالك من خلال نشرهم للجرائد و المجالات و بالتالي فالجمعية ساندت و دعمت الثورة الجزائرية في سيرها.

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيارنا للموضوع إلى العوامل التالية:

- كونه من المواضيع التي هي ذات أهمية في تاريخ الجزائر .
- علاقة الجمعية بالطرق الصوفية، واهم الطرق الموجودة بالجزائر .
- معرفة العوامل الحقيقية التي أدت إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الساحة باعتبارها حركة إصلاحية أو سياسية .

- رغبتنا في معرفة المزيد عن حقيقة ما حدث غداة اندلاع الثورة التحريرية خاصة فيما يتعلق بجمعية العلماء و الدور الذي لعبته في تاطير الثورة و تطوير أساليب الكفاح فيها على المستوى الداخلي و الخارجي .
- الوقوف على أهم وابرز الشخصيات التي أدت إلى ظهور هذه الحركة سواء بفكرة أو بالتأسيس.
- التعرف على الموقف الأساسي للجمعية من الثورة التحريرية .
- التشجيع الكبير الذي وجدناه لدى المشرف أستاذ بوسلامة محمد .
- تبين جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية.

و بناءا على هذا الأساس تتضح لنا الإشكالية الجوهرية و التي نراها متلائمة مع طبيعة موضوع هذه الرسالة و هي على النحو التالي:

- هل كانت جمعية العلماء المسلمين مجرد جمعية إصلاحية ثقافية دينية ؟ أم أنها تجاوزت ذلك الإطار لتصبح حركة سياسية ؟ و ما موقف الاتجاه الإصلاحي من الثورة التحريرية الجزائرية ؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية الجوهرية يمكننا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية الجزئية:

- ماذا نقصد بالحركة الإصلاحية؟ و ما الدور الذي لعبته في الجزائر؟
- ما هي ظروف تأسيس جمعية العلماء؟ وما الغاية منها ؟
- ماذا نعني بالتصوف ؟ وما علاقة جمعية بالطرق الصوفية و الزوايا ؟
- ما هي حدود التمايز و الفصل بين الإصلاح و السياسة ؟
- مامدى قوة الثورة التحريرية الجزائرية في احتواء التيارات السياسية و الجمعيات الوطنية و على رأسها جمعية العلماء الجزائريين ؟ و ما حقيقة موقفها من الثورة التحريرية ؟

- فيما تمثل موقف السلطة الاستعمارية من نشاط الجمعية وانضمامها للثورة ؟
- ماهي الأساليب التي استعملها رجال الجمعية في نضالهم الثوري ؟
- ماهي المكانة التي توصل إليها قادة الجمعية في الثورة ؟
- ماهي ردود فعل جمعية العلماء من اندلاع الثورة ؟ و ما موقفها ضمن سائر التيارات الوطنية الأخرى ؟

نظرا لطبيعة الموضوع ، ومن اجل الوصول إلى الهدف المنشود و للإجابة عن هذه التساؤلات و الإلمام بجوانب الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي السردي و المنهج التحليلي .

الأول يهتم بسرد الأحداث و تسلسلها تسلسلا كرونولوجيا في الزمان و المكان، لان موضوع هذا البحث عبارة عن جملة من الأحداث السياسية و العسكرية باستكمال جميع عناصرها، أما الثاني فقد اعتمدناه في الدراسة المادة العلمية و تحليلها .

و سنحاول كذالك مقارنة بين الآراء و الروايات المختلفة التي أوردتها الوثائق و الشهادات حول موقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية.

أما بالنسبة للصعوبات و العراقيل التي واجهتنا في دراسة موضوع بحثنا هذا من بينها:

- قلة المادة العلمية التي أردت بها تغطية هذا الموضوع و أن وجدت فهي تعالج الموضوع بنوع من السطحية و التحفظ خاصة في موضوعنا هذا .
- غموض في تبين حقيقة علاقة الجمعية بالطرق الصوفية .
- صعوبة تحديد موقف جمعية العلماء من الثورة بدقة.

ورغم كل الصعوبات و التي هي أمر طبيعي في كل بحث علمي فإننا حاولنا و بذلنا جهدنا قدر المستطاع في جمع المادة العلمية حسب إمكانيتنا و مقدرتنا في إتمام هذا البحث ونرجو أن نكون قد وفقنا بمجهودنا العلمي المتواضع و هذه الدراسة ما هي إلا تجربة أولية في ميدان البحث التاريخي و نرجو أن تكون صائبة بحول الله .

وبالنظر إلى عنوان الموضوع الذي يرتكز بالأساس على الحركة الإصلاحية و دورها في تفجير الثورة التحريرية فقد كانت لنا وقفة مع أهم الأحداث التي شكلت المفاهيم الأساسية و المنطلقات الرئيسية للعمل الإصلاحي و السياسي في الجزائري من خلال الإجابة عن التساؤلات المطروحة قسمنا بحثنا و الذي جاء على الشكل التالي : مقدمة ، مدخل ، و فصلين وكل فصل يندرج تحته ثلاثة مباحث ، ثم خاتمة متبوعة بمجموعة من الملاحق و قائمة البيبليوغرافيا.

فالمقدمة تضمنت تعريف شامل للموضوع و أبرزنا فيها أهمية و دوافع اختيارنا له، مع عرض لأهم ما جاء في دراستنا مع تحليل لأهم المصادر و المراجع المعتمدة فيها و تطرقنا كذالك إلى المنهج المتتبع و أهم الصعوبات التي واجهتنا في البحث.

ثم يأتي **المدخل** و الذي هو عبارة عن فصل تمهيدي تحت عنوان أوضاع الجزائر قبيل 1930م، و ركزنا فيه على الجانب الثقافي و السياسي و الديني .

ويليه **الفصل الأول** تحت عنوان الحركة الإصلاحية بالجزائر و الذي يندرج تحته ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول تطرقنا فيه إلى تعريف الحركة الإصلاحية، أما المبحث الثاني جاء تحت عنوان نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و ختمنا الفصل بالطرق الصوفية والزوايا.

أما **الفصل الثاني** فكان عنوانه مسار الجهاد السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و هو مقسم إلى ثلاثة مباحث ، فالمبحث الأول تتناولنا فيه إلى إسهامات جمعية العلماء في العمل السياسي و الثوري ، ثم خصصنا في المبحث الثاني لموقف الجمعية من اندلاع الثورة التحريرية 1954م، و ختمنا الفصل بدور الجمعية في تطور الثورة التحريرية داخليا.

و انهينا بحثنا بخاتمة استعرضنا فيها أهم الاستنتاجات و النتائج المتوصل إليها بعد إتمام دراسة المادة و تصنيفها و مناقشتها طبقا للمناهج المعتمدة و مراعاة لتوجيهات الأستاذ المشرف، وتليها مجموعة الملاحق كانت لها علاقة مباشرة بالموضوع.

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها بالقدر الوافي نذكر منها:

كتاب مذكرات الشيخ خير الدين الجزء الأول لمؤلفه الشيخ خير الدين و فيه تحدث عن حياته و دوره في الثورة التحريرية.

وكذا سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الذي أوضح لنا أراء و بعض المواقف من أعضاء الجمعية وغيرهم من المصلحين.

وكذالك كتاب أثار الإمام البشير الإبراهيمي الجزء الأول و الثاني و الخامس جمع و تحقيق الدكتور احمد طالب الإبراهيمي و قد استفدنا منه فيما يتصل بدور الشيخ الإبراهيمي في الثورة التحريرية حيث توجد بياناته و خطبه و مقالاته التي كان لها دور بارز في دعم الثورة الجزائرية .

و كتاب في قلب المعركة للشيخ البشير الإبراهيمي ، جمع و تصدير أبو قاسم سعد الله و يضم عددا من الوثائق حول الثورة و البيانات وخطب و أحاديث و نداءات حررها أو ألقاها باسم الجمعية و جبهة التحرير الوطني و قد استعملناه في تتبع نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي و دوره في تطور مسيرة الثورة .

مذكرات علي الكافي باعتباره مصدرا مهما لبحثنا لأنه عايش أحداث الثورة و ساهم فيها.

كذالك كتاب احمد مبارك الميلي ، ابن باديس و عروبة الجزائر ، و جريدة البصائر بمجموعة من أعدادها و التي تعتبر من أهم المصادر التي عايشت الثورة التحريرية .

أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين ج4، و غيرها من المصادر .

ولإثراء الموضوع أكثر زودنا البحث بمجموعة من المراجع أهمها:

التعليم القومي و الشخصية الجزائرية لعمامرة تركي رابح،و كتابه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.

كتاب جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما ج1، الذي أفادنا في التوسع لتعريف الطرق الصوفية و علاقتها بالجمعية و الصراع القائم بينهما.

كتاب خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة و التحرر لمؤلفه أبو قاسم سعد الله وقد تحث عن المراحل التي مرت بها الجزائر 1830-1962 و موقف الجمعية من الثورة.

بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية منها مذكرة ماجستير بعنوان أدب المقال عند البشير الإبراهيمي عيون البصائر نموذجا، علي حشلاف ، المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1936.

وبالنسبة للمجالات و الصحف اعتمدنا على جريدة البصائر بمجموعة من أعدادها و التي تعتبر من أهم المصادر التي واكبت الثورة التحريرية.

مـــدخـــــــل

إن طبيعة بحثنا تقتضي منا أن نعود قليلا إلى الوراء لمعرفة الظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري قبيل سنة 1930م، هذه الظروف التي يمكنها أن تعتبر كمؤثرات أولى للتغيرات التي حدثت في المجتمع في مختلف الاتجاهات منها الثقافية و السياسية و الدينية وغيرها وهي كالآتي:

1- **الوضع الثقافي:**

كانت الحياة الثقافية في الجزائر أي قبل التطرق لعلاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالثقافة و تركيزها على إصلاح ما يمكن إصلاحه فيها حتى تنطلق في عملية إصلاح المجتمع ككل من بوابتها،استلزم علينا إن نتطرق إلى نمط الحياة الثقافية في الجزائر قبل تأسيس الجمعية، إذ من بين معاني الإصلاح العودة إلى الأصل الصافي المعين،و الثقافة إذا انحرفت عن مسارها فإنها تتحول إلى ثقافة مشوهة تفتقد للأصالة الحقيقية[1].

إن للشخصية الجزائرية ماضيا بعيدا لا ننكره و لا مناص للرجوع إليه إلا إن دخول الإسلام إلى الجزائر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري جعل الشخصية الجزائرية تأخذ بعدا حضاريا و ثقافيا جديدين كل الجدة و يختلفان جملة و تفصيلا عما كان عليه الحال قبل إسلامها، ذلك هو البعد العربي الإسلامي الذي تربى في أحضانه الجزائريون و امتزج فيه العرب الوافدون مع السكان الامازيغ الأصليين و هما اللذان شكلا لاحقا العنصرين الأساسين من سكان الجزائر[2].

[1]- تركي رابح عمامرة، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية (1931م-1956م)، دراسة تربوية لشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص254.

[2]- المرجع نفسه، ص255.

يقول ابن باديس[1] : " ما من نكير إن الأمة الجزائرية كانت امازغية (بربرية) من قديم عهدها و إن امة من الأمم التي اتصلت بها استطاعت إن تقلبها عن كيانها ولا أن تخرج بها عن امازغيتها ،أو تدمجها في عنصرها بل كانت هي تبتلع الفاتحين فينقلبون إليها و يصبحون كسائر أبنائها ،فلما جاء العرب و فتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية لا لبسط السيادة و إقامة العدل الحقيقي بين جميع الناس، لا فرق بين العرب الفاتحين و الامازيغ أبناء الوطن الأصليين، دخل الامازيغ من أبناء الوطن في الإسلام و تعلموا لغة الإسلام العربية طائعين ووجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتحة في وجوههم فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة، و ناقشوهم في مجالس العلم و شاطروهم سياسة الملك و قيادة الجيوش و قاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع بصرح الحضارة الإسلامية ينشرونها و يعبرون عنها بلغة واحدة و هي اللغة العربية الخالدة، فاتحدوا في العقيدة ، كما اتحدوا في الأدب و اللغة فأصبحوا شعبا واحدا متحدا غاية الاتحاد، و امتزجوا غاية الامتزاج و أي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد واتحد اللسان."

إن الحياة الفكرية و الثقافية في الجزائر كانت مزدهرة غاية الازدهار في الفترة التي سبقت فترة الاستدمار الفرنسي، فكل أرجاء الوطن كانت تزخر بالعلم و العلماء وقد قيل عام 1834 بان كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة و الكتابة ففي كل قرية هنالك مدرستين، و في هذا كتب الرحالة الألماني فيلهام شيمبر حين زار الجزائر عام 1831 " لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة و الكتابة غير أني لم اعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب ."[2]

[1]– تركي رابح عمامرة، المرجع السابق ، ص 256.

[2]– أحلام بالوالي ،أدب المقال عند البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر نموذجا، رسالة ماجستير ، جامعة البويرة ، 2014م، ص22.

هذا يدل على أن العرب عموما و الجزائريين خصوصا كانوا اقرب للحضارة و النهضة من أقرانهم هناك في أوربا و ما يعزز هذا الطرح ما قاله الأستاذ ديمبري الذي درس طويلا الحياة الجزائرية في ق 19 فقد أشار إلى انه كان في مدينة قسنطينة وحدها قبل الاحتلال 35 مسجدا تستعمل كمراكز للتعليم كما أن هناك 7 مدارس ابتدائية و ثانوية يحضرها ما بين 600 و 900 طالب و يدرس فيها الأساتذة محترمون بأجور عالية [1].

كانت الجزائر قبل 1830 بلدا مستقلا تملك كل الخصائص الدولة ،كما كانت الثقافة العربية الإسلامية سائدة و مزدهرة نسبيا بين جميع طبقات الشعب الذي كان معظمه يعرف القراءة و الكتابة و الحساب إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر بكل أنواع التعريب و التجهيل و الطمس فخرب دور العلم و مراكز الثقافة و أبدلها بمدارس و مراكز فرنسية اللغة غربية الثقافة، فلقد دخل الاحتلال إلى الجزائر بقوة الحديد و النار من اجل الهيمنة عليها روحيا و معنويا و ماديا و إلى جانب استخدامه القوة لاستنزاف خيراتها استعمل السلاح الفكري الثقافي الأكثر فتكا بغية مسخ الشخصية الوطنية و طمس هويتها [2].

ابتلت الجزائر على مدى 132 عام بنوع خاص من أنواع الاحتلال، شرد أهلها و اغتصب أرضها، و استباح عرضها، زيادة على فرضه صراعا عنيفا ضد الشخصية القومية للجزائريين مستهدفا قيمتها الحضارية و الثقافية ، " لقد استمر الاستعمار في بداية ق 20 في شل الحياة الفكرية و نشر الأمية في الأوساط الجزائريين، و ذلك عن طريق إغلاق المدارس و محاربة التعليم بالغة العربية و كذلك الإسلام، فشعار الاستعمار التفقير و التجهيل و القضاء على خصائص هويته الوطنية و الحضارية ."[3]

[1] – أحلام بالوالي ،المرجع السابق، ص25.

[2] – احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص142.

[3] – المصدر نفسه، ص143.

2- **الوضع السياسي:**

مرحلة الحكم العسكري: خضعت الجزائر للاستعمار الفرنسي منذ يوم 5 جويلية 1830م ، و مرت بثلاث فترات متعاقبة هي فترة التردد الساسة الفرنسيون في احتلال الجزائر ما بين (1830م-1838م) ثم أعقبها فترة الاحتلال الضيق ما بين (1833م- 1840م) ، ثم فترة الاحتلال الشامل التي بدأت عام 1840م[1].

أما مرحلة الحكم المدني: فكانت (1870م- 1930م) فقد تم الإعلان عن نتيجة الفوضى التي أحدثها المستوطنون لأنهم تضايقوا من سياسة نابليون الثالث الذي حاول تقليص نفوذهم فوضحت حكومة باريس على عهد الجمهورية الثالثة إلى مطالبهم ، على اعتباراتها دشنت عهدا جديدا في الجزائر هو حكم المدني، و بالتالي عادت إلى السياسة القديمة القائمة على الاندماج و الاستعمار و المصادرة و القهر الشديد ، حيث قامت بإصدار قانون الأهالي 1881م ، وهو عبارة عن مجموعة من النصوص الاستثنائية التي فرضت على الشعب الجزائري ، وقامت أيضا بإصدار قانون التجنيد الإجباري الذي أصدرته فرنسا في 3 فيفري 1912م، ضد الأهالي من الشباب للالتحاق بالجيش الفرنسي إجباريا، لكن الشعب الجزائري عارضه معارضة شديدة لأنهم كانوا يرون فيه مساسا بشخصيتهم الإسلامية. [2]

فأمام هذا الضغط المتزايد على الجزائريين من طرف المستوطنين بدا رد الفعل بتجسيد ميدانيا من خلال العرائض المطالبة بإلغاء قانون الأهالي و قانون التجنيد الإجباري و المطالبة بالعودة إلى نظام القضاء الإسلامي مع احترام العادات و التقاليد الخاصة بالشعب[3].

1- شال روبير اجرون، الجزائريون المسلون و فرسا (1871م – 1919م)، تق:الحاج مسعود،ج1،دار الرائد،الجزائر ،2007، ص101.

2- صالح فركوس ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830م_ 1925م)، د.ط، مديرية النشر ، جامعة قالمة، 2010، ص 165.

3 – صالح فركوس، المرجع نفسه، ص 167.

و إذا كانت هذه الفئة المحافظة من المثقفين قد حاولت إثبات الهوية العربية الإسلامية ، فهناك كتلة أخرى كانت منافسة لها و هي جماعة النخبة التي تعتبر بداية ظهور الأحزاب السياسية الجزائرية منذ عام 1912م ، حيث تركزت مطالبها على المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين و هدفها دمج الجزائر بفرنسا مع التمثيل النيابي الكامل للجزائريين و كانت ترغب في تحيل المجتمع الجزائري إلى مجتمع غربي ن وما أن انتهت حرب العالمية الأولى حيث انقسمت جماعة النخبة إلى اتجاه معتدل لا يقبل الاندماج و مثله حزب الإصلاح و الاتجاه الليبرالي المطالب بالاندماج و مثله الحزب الليبرالي الإدماجي[1].

و عليه نجد الحرب العالمية الأولى كانت سبب لنقل المقاومة في الجزائر من طابعها العسكري إلى العمل السياسي و منها ظهور حركات السياسية و من أهم الأحزاب السياسية التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى حركة الأمير خالد (1919م- 1925م) ، حركة نجم شمال إفريقيا ، اتحاد المنتخبين 1930[2].

[1] – شال روبير اجرون، المرجع السابق، ص96.

[2] – عمار عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر،ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م ، ص163.

3 – الوضع الديني :

كانت فرنسا تخشى من الدين الإسلامي أن يقف في وجهها و يمنعها من تحقيق أهدافها و مطامعها لهذا اتبعت عدة سياسات تهدف من خلالها إلى تحطيم الدين في الجزائر ، و مسح هوية الجزائريين ، ومن بين هذه السياسات هي القضاء على المساجد أو التقليص منها فبدأت بالهدم و التخريب و تحويل بعضها إلى كنائس و مرابط للخيول و مستودعات عسكرية ، ومن ابرز هذه المساجد التي اشتهرت بها الجزائر و كانت عرضة للهدم و التحويل منها مسجد كتشاوة و الذي يعد مسجد حنفي بقلب المدينة في السنين الأولى من القرن الحادي عشر الهجري و السابع عشر الميلادي و أعاد بناءه الداي بابا حسن باشا و زاد في توسيعه سنة (1209هـ – 1795م).[1]

كما رغبت فرنسا في القضاء على العقيدة الإسلامية ، حيث قامت بتجهيز بعثات تبشيرية و أمدتها بمختلف الوسائل الأدبية و المادية مستغلة البؤس و الشقاء الذي يقاسمه الشعب الجزائري أنا ذاك ، ونجد أيضا أن التعليم التبشيري الذي كان في الجزائر كان يهدف إلى التهيئة الأرضية الصالحة للتنصير و إعادة المسيحية إلى الجزائر كذالك كان يهدف إلى تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير و إعادة المسيحية إلى الجزائر[2].

[1] – تركي رابح عمامرة ، المرجع السابق، ص88.

[2] – المرجع نفسه، ص 89.

كذالك كان يهدف إلى التنصير الذاتي حيث يعمل المنتصرون من الجزائريين على الدعوة إلى النصرانية بين أهلهم و ذويهم حتى يسيروا على نهجهم و يتقمصوا النصرانية دينا فبالرغم من الاضطهاد الأطفال و الفقهاء و العلماء و حفظه القران ، و هدم و إغلاق المدارس و الجوامع و الكتاتيب و بالرغم من الجهود المتواصلة من قبل المبشرين المنتشرين في مختلف نواحي القطر الجزائري ، فان الشعب الجزائري قد بقي مسلما قوي العقيدة متشبثا بلغته و دينه و تاريخية.[1]

[1] – عمار عمورة ، المرجع السابق، ص89.

الفصـــل الأول

الحركة الإصلاحية بالجزائر

المبحث الأول: تعريف الحركة الإصلاحية

المبحث الثاني: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الثالث: الطرق الصوفية و الزوايا

لقد مثلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جزء من الحركة الإصلاحية في الجزائر، إذ عملت على إصلاح و توعية الأفراد دينيا و تربويا لتحديد مطالبهم السياسية و باعتبار أن الشخصية محل الدراسة رائد من الرواد النهضة الجزائرية و احد رجال إصلاح الديني في الجزائر مثل الإمام عبد الحميد ابن باديس و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و غيرهم ، لذا كان لا بد من معرفة جذور هذه الحركة و كيفية ظهورها[1].

المبحث الأول : تعريف الحركة الإصلاحية

الحركة الإصلاحية هي في الحقيقة رفض وجود الاستعمار و العيش تحت إقدامه على أن ينظم ذلك الرفض في شكل حركة أو نشاط يشرف عليه السلف الصالح و يستعد ذلك من تجارب الماضي ، و بذالك يكون السلف الصالح قد تحكم في تطلعات المستقبل إلى حد ما[2].

المطلب الأول : مفهوم الإصلاح

يعرف الإصلاح من الجانب اللغوي :

بأنه لفظ مشتق من الفعل صلح يصلح صلاحا و صلوحا ، و الصلاح ضد الفساد ، أصلح الشيء بعد فساده .

فالإصلاح عموما هو عكس الفساد و تغيير الفساد إلى إصلاح يحتاج إلى عمل منظم و منهج مدروس، ينطلق من رؤية واضحة لينتهي إلى أهداف محددة و يسمى هذا العمل التغيير[3].

[1] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص42.

[2] – المصدر نفسه، ص43.

[3] – ابن المنظور، لسان العرب، ج7، ط3، دار الصادر، بيروت، 1999، ص382.

أما من الجانب الاصطلاحي : هو لفظ من المفاهيم المرتبطة بالإسلام ، إذ تعد كلمة الإصلاح من أهم ما احتوته الحضارة الإسلامية على مدار تاريخها الطويل بدليل أن القران الكريم قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح [1].

و قد عبرت الآيات القرآنية الكثيرة عن الإصلاح و اتخذها المصلحون شعارا لحركاتهم الإصلاحية و نجد في ذلك **قول الله تعالى** [2]: ﴿ و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾، و **قوله تعالى** [3]:﴿ وما ترسل المرسلين إلا المبشرين و المنذرين فمن امن و أصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون. ﴾

و قد عرف الشيخ مبارك ألميلي[4] الإصلاح بقوله: [5] " نبذ الفاسد من العقائد و العوائد و إرشاد إلى ما هو صالح ليؤخذ ، و غايته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية و الأخروية "، فالإصلاح من منطلق تفكيره هو الجهد المبذول في انتقاء ما هو صالح .

أما مفهوم الإصلاح عند العلماء [6]: يهدف إلى تغيير حالة الفساد في المجتمع الجزائري و البحث عن البديل الذي يليق بالأمة و كل ذلك نتج عن وعي لرجال الإصلاح الذين كانوا يتقاسمون هموم و ألام شعوبهم و يدركون الأخطار المحدقة بهم و اتضح هذا الطرح الجديد للإصلاح مع بداية القرن الماضي .

---

[1] – عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر(محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا)،ج1، دار مداد، قسنطينة، 2009، ص271.

[2] – سورة الأعراف، اية56.

[3] – سورة الأنعام، اية48.

[4] – من مواليد قرية سيدي مبارك بالميلية في 25-5-1898م، يعتبر من طلبة شيخ ابن باديس في قسنطينة دعا إلى تأسيس مدرسة الشيلية، توفي في 9- فيفري- 1954م ، **ينظر**: محمد حسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج2، د.ط، دار الهومة، الجزائر، 2000، ص24.

[5] – العرفي رحيمة. بوثلجة مريم، الدور السياسي للحركة الإصلاحية في الجزائر(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية قسم العلوم الإنسانية، اشرف حفظ الله بوبكر، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، السنة الدراسية 2008-2009، ص19.

[6] – احمد مريوش، الشيخ طيب العقبى و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار الهومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص16.

الإصلاح عند الأفغاني :

إنما هو إصلاح العقول و النفوس أولا ، ثم إصلاح الحكومة و ربط ذلك بالدين ، و يرى أن إصلاح الحكومة يكون عن طريق إصلاح الشعب .

يقول الأفغاني :[1] "إن القوة النيابية لأي امة لا تكون لها قيمة حقيقية إلا إذا انبعث من نفس الأمة ، و أي مجلس نيابي يأمر تشكيله ملك أو أمير أو قوة أجنبية محركة له فهو مجلس موهوم موقوف عن إرادة من أحدثه ، فالعقل و النفوس أولا و الحكومة ثانيا . "

الإصلاح عند محمد عبده [2]:

" و لم أكن في كل ذلك الإمام التسع و لا الرئيس المطاع غير أني كنت روح الدعوة و هي لا تزال في كثير مما ذكرت قائمة و لا أبراج ادعوا إلى عقيدتي في الدين و أطالب بإتمام الصلاح في اللغة ، أما أمر الحكومة و المحكوم فنتركه للقدر يقدره ، و لأنني قد عرفت انه ثمرة تجنيها الأمة من غراس تغرسه و تقوم على تسميته لسنوات طوال ، فهذا الغراس هو الذي ينبغي أن يعني به الآن و الله المستعان ."

في هذا القول الموجز كل حياة عبده الإصلاحية و كل رسالته و كل نجاحه و إخفاقه ثلاثة أمور، اتجه إليها إصلاح الدين، إصلاح اللغة و الأدب، و إصلاح السياسة .

الإصلاح عند الشيخ ابن باديس [3]:

نذكر هنا أن شعار الشيخ في دعوته إلى الإصلاح كان يظهر من خلال الآية الكريمة: " لأدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة."، و الذي عمل بها الشيخ مدة حياته إن فضل أسلوب التطور و الكلام على أسلوب الثورة و السلاح و يجزم على أن يعمل بهما لا يمكن أن يكون إلا مجرما أو آثما .

---

[1] – محمد حسن الفضلاء، المرجع السابق، ص25.

[2] – المرجع نفسه، ص26.

[3] – الشيخ عبد الحميد ابن باديس، أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، إع: عمار طالبي، دار اليقظة العربية، دمشق، 1968ن ص74.

احتل مصطلح الإصلاح حيزا هاما من الخطابات علماء الجمعية ، بل يمكن القول أن كل الجهود التي بذلتها كانت في سبيله ، حيث عرفها الشيخ أبو يعلى الزواوي في إحدى مقالاته بالقول [1]: " الإصلاح كلمة واضحة المعنى ، مفهومة اللغة و شرعا و عرفا و هي ضد الإفساد ، و اجمع العقلاء من جميع الملل و النحل على إن الإصلاح محمود ، و ضده مذموم ، ثم إن مرادنا نحن بالإصلاح إصلاح الديني الشرعي أولا ، ثم إصلاح العام حتى في شراك النعل . "

مما سبق يمكن القول إن الإصلاح هو العمل على تغيير الأوضاع الفاسدة في المجتمعات بكل الطرق المشروعة و الوسائل المتاحة ، لذا دخل مصطلح الإصلاح في الكثير من المجالات منها السياسية و الأخلاقية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية ، و قد عرف طريقه إلى الفكر العربي في نهايات ق 19 م بقيادة نخبة من المصلحين في المجالات المختلفة ، منهم جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، عبد الرحمان الكواكبي ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، و غيرهم و الإصلاح عادة ينطلق من منظور ثقافي باعتباره المتضمن للقيم و المعاني و الغايات و النمط المحدد لحياة الإنسان و بالتالي هي الخصائص التي يتميز بها البشر عن سائر الكائنات و عليه يمكن أن نعرف الإنسان بأنه كائن ثقافي[2] .

إن معنى الإصلاح في لسان العرب هو إعادة الشيء إلى طبيعته على مقتضى نظامه الذي هو بحيث تنتقي عنه مظاهر الفساد التي طرأت عليه فادت إلى اختلال نظامه و من ثم يصح القول بأنه العناية بالشيء المختل نظامه [3].

[1] – عبد الرحمان شيبان، الشيخ أبو يعلى الزواوي إمام المصلحين(1866–1952)، البصائر، ع250، 25 جويلية – 1 أوت 2005، ص12.

[2] – فؤاد ملين، جريدة البصائر، مقال: مقام الإصلاح في فلسفة جمعية العلماء، ع728، 3–9 نوفمبر 2014، ص6.

[3] – ابن المنظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص390.

المطلب الثاني : نشأة الحركة الإصلاحية

ساهمت عوامل متعددة و مختلفة في بلورة فكرة الإصلاح بالجزائر منذ مطلع ق 20 م لتصبح حركة لها مبادئها و منهجها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، لعل أول هذه العوامل هي تأثر الحركة الإصلاحية الجزائرية بمثيلتها بالمشرق العربي و لا سيما رائدها الشيخ العلامة جمال الدين الأفغاني و الإمام محمد عبده ، و لما تناقلته الأحاديث عن هدا الأخير من قبل مؤيديه و كذا معارضه الأثر الكبير في نشوء الحركة [1]، " إذ كانت تلك الأحاديث تفعل فعلها في النفوس المتبرمة من الحاضر و المستشرفة إلى تبدله بما هو خير و تكييفها تكييفا جديدا و تغريها بالبحث عن منشأ هذه الخصومة العنيفة لهذا الرجل فإذا علمت انم نشا ذلك دعوته إلى القران ... فأحبته و لحت في الانتصار له و يضاف إلى هذا العامل قراءة المنار على قلة قرائه في ذلك العهد و اطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة ككتب ابن تيمه و ابن القيم . "

فهذا العامل كان له أثره في التمهيد للدعوة الإصلاحية بالإضافة إلى البعثات العلمية إلى الحجاز التي لعبت هي أيضا دورا هاما في إذكاء فكرة الإصلاح في الجزائر بعد أن عادت طائفة من الطلبة بالهدي المحمدي الكامل و قد تأثرت بالإصلاح تأثرا خاصا [2].

فالاستعداد الفطري للشعب الجزائري ، إضافة إلى هاته العوامل المتضافرة ، مهد لظهور الحركة الإصلاحية بالجزائر في النصف الثاني من القرن 19 م حيث برز عدد من المصلحين من الجيل الأول و كانوا من السلفيين منهم الشيخ صالح بن مهنة [3]، الشيخ عبد القادر المجاوي ، الشيخ عبد الحليم بن سماية ، و غيرهم من الرجال الذين ظهروا بفكرة إصلاحية محدودة و لكنها على كل حال محمودة .

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، 1935، ص40.

[2] – المصدر نفسه، ص41.

[3] – مفتي مدينة قسنطينة، لقي في سبيل دعوته الإصلاحية الوطنية النفي و التشريد من قبل إدارة الفرنسية وتوفي عام1907.
انظر: محمد رمضان شاوش و ألغوثي بن حمدان ، **إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر**، ط2، مطبعة داود بري كسي، الجزائر، 2001، ص505.

و ثمة عاملا آخر لا يمكننا تغافله و نحن نعرض لبدايات الحركة الإصلاحية في الجزائر يتمثل في الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

و مما بجدر بنا ذكره في هذا المقام أن[1] الحركة الإصلاحية منذ نشأتها و بزوغ فجرها لقيت نوعين من المعارضة ، كانت الأولى معارضة سياسية تتمثل في السلطة الاستعمارية التي اجتهدت بكل ما أوتيت من جبروت على تعطيل مسار الحركة بدءا بالاضطهاد أصحابها و ملاحقتهم و توق يفهم لينتهي بهم الأمر إلى السجون و الإبادة ، أما الثانية فكانت معارضة دينية و هي ذات جانبين ، جانب أجنبي يمثله المستعمر و الآخر محلي يمثله رجال الصوفية و الطرقيون.

الحركة الإصلاحية لم تنشا من فراغ ولم تتحرك في فراغ و بالتالي لم تتكون عن طريق الصدفة و إنما نشأت في ظل التفاعلات السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الحضارية كان الاستعمار يحركها و يدير شؤونها للفصل بين الشعب الجزائري و مقاوماته الحضارية ليسهل عليه فيما بعد صياغتها على النحو الذي يتلاءم مع أهدافه الاستعمارية .

فالحركة الإصلاحية لفظ يعني كل مبدأ تعتنقه جماعة و تتساند لنصرته و تعمل على نشره و الدعاية و العمل له عن عقيدة ، كما تقوم بوضع نظام محدد له وفق خطة مرسومة ، و غاية مقصودة ، سواء نظرنا إليها من الزاوية الدينية و الثقافية أو السياسية فإننا لا نستطيع تجاهل سعة نشاطها و عمق التأثير الذي وسمت به حياة المجتمع الجزائري ما بين الحربين[2].

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص42.

[2] – جمعية العلماء المسلمين، المصدر السابق، ص46.

و المبعث الرئيسي لإنشاء الحركات الإصلاحية [1]هو حماية المقدسات و تحصين الهويات المهددة و محاولة تثبيت المبادئ و القيم الأصلية في المجتمع مع محاولة تطويره فكريا و ثقافيا ، حتى يكون على نفس الخط مع التقدم الحاصل في العالم فتكون بذلك إحدى عوامل النهضة و الانطلاقة الفعلية نحو التغيير ومن هذا نفهم إن الحركة الإصلاحية في الحقيقة هي رفض وجود الاستعمار و العيش تحت أقدامه على أن ينظم ذلك الرفض في شكل حركة أو نشاط يشرف عليه السلف الصالح ، و يستعد ذلك من تجارب الماضي ، و بذلك يكون السلف الصالح قد تحكم في تطلعات المستقبل إلى حد ما .

[1] – محمد البشير الإبراهيمي ، المصدر السابق، ص43.

المطلب الثالث : رواد الحركة الإصلاحية

احتضن العلماء الفكرة الإصلاحية و عملوا على نشرها مستعينين في ذلك بالمقالات الصحفية والأبيات الشعرية و المؤسسات التعليمية ، و كانت فكرة الإصلاح قد سبقت الحركة كما اشرنا آنفا ، فقد سعت ثلة من المصلحين على إرساء المبادئ الإصلاحية الدينية و الاجتماعية منهم الشيخ صالح بن مهنا و الشيخ عبد القادر المجاوي و الشيخ عبد الحليم بن سماية و غيرهم [1].

على أن يصعب حصر أسماء رواد الحركة الإصلاحية التي سبقت نشأة الجمعية ذلك لان زعماء الإصلاح من أبناء الجمعية الذين حملوا فكرة الإصلاح منذ بدايتها هكذا من ناحية ، و من ناحية ثانية نجد جل شعراء تلك الفترة دعاة الإصلاح أمثال عمر بن قدور ، و المولود بن الموهوب و القاني السائح ، و هكذا امتزج الأدب بالإصلاح و أصبح الواحد منهم أدبيا صحافيا مصلحا ، و قد التزم المصلحون تلك الوجهة تلقائيا استنكارا للحالة المتعفنة التي آلت إليها الجزائر ، متاثيرين بالحركات الإصلاحية في الشرق العربي و الإسلامي بقول الشيخ البشير الإبراهيمي [2]: " لا نزاع في ا ناول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني و العلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ندى الأئمة المصلحين صوتا و أبعدهم صيتا في عالم الإصلاح ، و حمل لواء الإصلاح بعد موت الإمام تلميذه الأكبر و وارث علومه السيد محمد رشيد رضا ، و قد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره باعتراف الإمام ... ، و اضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حين نكل عن حملها أقوام."

[1] – محمد حسن الفضلاء ، المرجع السابق، ص28.

[2] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص36.

فتصريح الشيخ الإبراهيمي[1] يبرز درجة تأثر الحركة الإصلاحية في الجزائر بأختها في الشرق العربي .

فقد كان لمحمد عبده و جمال الدين الأفغاني و رشيد رضا بعدهما الأثر البين في النهضة الوطنية ببلادنا بالرغم من الطوق الحديدي الذي طوق به المحتل الشعب الجزائري لعزله عن إخوانه بالمشرق العربي و روادها في بلادنا أشقاء زعمائها بالمشرق و ما ابن باديس و البشير الإبراهيمي إلا الكفة التي لا يستقيم ميزان الإصلاح في العصر الحديث إلا بوجودها ، و قد ساعدها في مسيرتها الإصلاحية ثلة من الأولين و ثلة من الآخرين من العلماء المصلحين[2] ، من أمثال الشيخ طيب العقبى و الشيخ محمد خير الدين و العربي التبسي و محمد مبارك ألميلي ، احمد توفيق المدني و الفضيل الورتيلاني ، و محمد الهادي السنوسي و غيرهم من المصلحين جعلوا حياتهم كلها وقفا على الإصلاح الديني سعيا منهم لتحرير العقول من الأوهام و الخرافات و الرجوع إلى العقيدة الصافية، و طالبوا بتحرير الدين من السيطرة الفرنسية كما طالبوا بتكوين مدارس حرة ، باعتبار اللغة العربية لغة رسمية ، و اعتبار الجزائر جزءا من الأمة العربية الإسلامية لا امتدادا لفرنسا [3].

---

[1] – يعد رائدا من رواد الإصلاح التربوي التعليمي في الجزائر، كتب عدة مقالات، ساهم في توعية الشعب الجزائري منطلقا من المرجعية التعليم إذ يرى انه الركن الأساسي لابد منه لتحرير الشعب الجزائري من قبضة الاستعمار، ولد في 14جوان1889م، تعرف قبيلته بأولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل و يرجع نسبه إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للإشراف الادارسة و من أثاره نجد عيون البصائر و هي مقالات كتبها بقلمه في جريدة البصائر و غيرها ، **انظر**: محمد حسن الفضلاء، المرجع السابق، ص31.

[2] – عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر(1920– 1936) ، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، 1984، ص24.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي،أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،(1929– 1940) ، ص23.

المبحث الثاني : نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، من أهم المؤسسات الوطنية في مرحلة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي نظرا لما قامت به من مشاريع ثقافية، و دينية، و اجتماعية، و سياسية، لا سيما الدفاع عن الهوية الوطنية للشعب الجزائري.

و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت و ما تزال تعيش بمددها الفكري ، و الأخلاقي و التربوي في أذهان الجزائريين حتى الآن ، وقد ظل موضوع جمعية العلماء يثير جدلا سياسيا، و تاريخيا مستمرا حتى يومنا هذا[1].

المطلب الأول : تأسيس جمعية العلماء المسلمين

عرفت الجزائر أصعب استعمار على مر الأزمان سعى جاهدا إلى محو تاريخها و تشويه هويتها ، إضافة إلى استيلاء أرضها و استباحة عرضها ، انه استعمار متعدد الأطراف ادر كان السبيل الأوحد للسيطرة على الجزائريين هو إثارة النعرات العرقية و اللغوية فيهم و زرع مشكلات الثقافية عن طريق عملاء له اشترى ذممهم و ضمائرهم ، مما اقتضى ضرورة إنشاء جمعية وطنية مضادة لهذا المد الاستعماري يشترط فيها تعدد المشارب و التوجهات ، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان تأسيسها بمثابة نور في نفق الجزائر المظلم ، مع ما رماها به الجهلة من كونها جمعية دينية لا يمكنها أن ترتقي إلى مصاف الجمعيات الثقافية[2].

[1] – جمعية العلماء المسلمين، المصدر السابق، ص48.

[2] – احمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص281.

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أدق مرحلة عبرتها الجزائر و أتت في ظروف صعبة، تتجسم في المشاريع الفرنسية و التي تلغي وجود الجزائر تاريخيا و واقعيا و فكريا، و قد أتت هذه الجمعية، لتقيم توازنا على المستوى الثقافي و الحضاري و الذي يؤدي بدوره إلى توازن على المستوى السياسي، وخرجت هذه الجمعية إلى الوجود في الخامس من مايو عام **1931** و كان مركز نشاطها الأول نادي الترقي[1] (بالجزائر العاصمة).

اقر الإمام محمد البشير الإبراهيمي[2] في العديد من المرات "إن عمل الجمعية لا يقتصر على المجال الدعوي الديني فحسب ، بل يتعداه إلى مجال الإصلاح الاجتماعي الذي يعد ميدانا مترامي الأطراف يقتضي التدخل في مجموعة من المجالات من بينها المجال الثقافي إذ لا صلاح للمجتمع إلا إذا صاحبه تطور في الظروف الثقافية و الاقتصادية و السياسية و النفسية، و هي مجالات تأخذها الجمعية على عاتقها بهدف بناء وطن بمقاييس حضارية عالمية ، و الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي ."

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم **5** ماي **1931** بالعاصمة و قد ضمت **22** عالما جزائريا جاؤوا من مختلف أنحاء القطر و من مختلف الاتجاهات الدينية و كان ابن باديس هو العصب المحرك لهذه الحركة بشخصيته و قلمه و لسانه و تلاميذه و سمعته . كما جاء تأسيسها ردا على الادعاءات الاستعمارية بان عهد الإسلام قد انتهى وولى في الجزائر و أن الثقافة العربية الإسلامية قد اندثرت و لم يعد لها وجود و هذا ما بينته التصريحات المعلنة من قبل المسئولين الفرنسيين حيث قالوا:[3]" إن هذا الاحتفال أيضا لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام و العربية في الجزائر فقد قبرناهما إلى الأبد و صارت الجزائر فرنسية في كل أشياءها."

---

[1] – هو عبارة عن مركز افتتح عام 1927 في الجزائر من طرق جماعة من أعيان و الأغنياء الجزائر المسلمين، كان الغرض من تأسيسه هو طرح و بحث و مناقشة الأوضاع التي آل إليها المجتمع الجزائري بين رواد النهضة و علمائها. **انظر:** محمد طهارى، **الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط1، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص11.

[2] – أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب السلامين بيروت، لبنان، 1992م، ص84.

[3] – احمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص285.

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حركة سياسية ذات قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر، و هي حركة سياسية ذات رسالة ثقافية و علمية ، اجتماعية تهدف إلى حماية التراث الوطني ، و منذ البداية ينبغي أن نشير إلى أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد برزت إلى الوجود كحركة سياسية إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية [1]، و هي من ابرز الجمعيات الإصلاحية التي ظهرت في **ق20** م سلكت منهج الوسطية و الاعتدال في خطابها الديني و انخرطت في مشاريع إصلاحية رائدة ، و نجحت في تحقيقها رغم الإمكانات المحدودة.

و رغم المعوقات الممدودة و هكذا استطاعت تلك الجمعية التي انطلقت من نادي الترقي في عز جبروت الاستعمار المحتفل بذكرى المئوية لاحتلال البلاد و استعباد العباد أن تشتعل الشمعة في الظلام و تكسر الأغلال و تزرع الأمل في المدارس و في المدن و الأرياف لنشر العلم و تحارب الجهل و تحي الدين و تنور العقول و تحرر الأبدان [2].

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت جمعية إصلاحية بمعنى أنها سعت إلى إصلاح حياة الجزائريين في كل جوانبها فكما اهتمت بإصلاح العقيدة و الأخلاق و السلوك ، اهتمت كذالك بإصلاح التربية و التعليم و عملت على إصلاح المجتمع و سعت إلى إصلاح الحياة العامة للجزائريين و هو ما جعلها تطرق كل المجالات التي يمكن أن تحقق من خلالها الإصلاح الشامل المأمول و كان طبيعيا أن تتحرك في إطار الاجتماعي اصطلاحا للخلل الذي أصابه ، و محاربة للآفات التي كانت منتشرة فيه و أن تخوض في السياسة و أن تكون لها مواقفها و أرائها في بعض القضايا السياسية التي كانت قائمة في ذالك الحين [3] .

[1] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص244.

[2] – جريدة البصائر، بتاريخ 2–8 ماي 2016، ع806، ص10.

[3] - عمار بوحوش، المرجع نفسه، 246.

و الحق يمكن الفصل بين الجانب الاجتماعي و الجانب السياسي في الحركة الإصلاحية للجمعية ، فالعمل الاجتماعي هو عمل سياسي في حقيقته و العمل السياسي في مجاله الأول هو المجتمع و هدفه ترقية المجتمع و النهوض به لكن مع ذلك فالعمل السياسي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو جزء من العمل الإصلاحي يدور في فلكه و يتوخى مقاصده و لا يخرج عن دائرته ، له أهدافه و مقاصده الخاصة [1].

كما كان لانتشار البدع و الخرافات بين صفوف العامة كالإيمان بالأولياء و الخرافات التي تشوه وجه الإسلام الصحيح بالإضافة إلى ظهور دعاة الإدماج و الفرنسية، خصوصا بن النخبة المثقفة الفرنسية، وهذا ما شجع العلماء على توسيع ميدان نشاطهم الإصلاحي، و قد ضمت الجمعية بين صفوفها نخبة من علماء الجزائر المتجددين أثناء الاجتماع لم تلجا لا للاقتراع السري، و لا العلني في اختيار أعضاءها، بل عمدت إلى طريقة الاقتراح و ذلك بعرض أسماء معينة على الحاضرين و هم[2] :

عبد الحميد بن بأديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب ألعقبي، محمد الأمين العمودي ، مبارك ألميلي، إبراهيم بيوض، المولود ألحافظي ، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي، عبد القادر ألقاسمي، محمد الفضيل الورتيلاني .

[1] – مسعود الفلوسي، البعد الاجتماعي و السياسي في التجربة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، د.ط، جامعة باتنة، د.س، ص 4.

[2] – المرجع نفسه، ص 6.

المطلب الثاني : أهداف الجمعية و مبادئها

إذا تحدثنا عن أهداف الجمعية ، فطبيعة الحال سنتحدث عن التعليم إذ أن معظم الباحثين يقصرون أهدافها على التعليم العربي و محاربة الخرافات و تصفية الإسلام مما علق به من شوائب خلال القرون المتأخرة ، و في هذا لخص ابن باديس مبادئها و أهدافها سنة **1935** بقوله [1]: " القران أمامنا ، و السنة سبيلنا و السلف الصالح قدوتنا ، و خدمة الإسلام و المسلمين ، و إيصال الخبر لجميع سكان الجزائر غايتنا . " ، كما لخص احد أعضاء الجمعية أهدافها فيما يلي [2] :

1-إحياء الإسلام بإحياء القران و السنة .

2-إحياء اللغة العربية و آدابها .

3-إحياء التاريخ الإسلامي و أثار قادته .

في حين ربطها البعض بالنشاط السياسي و معاداة الاستعمار و بفكرة تكوين الدولة الجزائرية ، أما فرحات عباس[3] فأكد بان أهدافها تكمن في تجديد الإسلام ، و الصراع ضد المرابطين أداة الاستعمار[4] .

---

[1] – أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 89.

[2] – محمد خير الدين، مذكرات خير الدين، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.س، ص86.

[3] – من مواليد اكتوبر1899، ذو شخصية قوية مثير بأفكاره و مواقفه و يعد وجها بارزا من وجوه الحركة الوطنية ، وكانت له إسهامات كبيرة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، أهمها تأسيس البيان و الحرية1944، و كان رئيس حكومة المؤقتة1958، توفي بالجزائر24-ديسمبر1985.**انظر:** محمد مبارك الميلي، فرحات عباس بين باريس و القاهرة، **مجلة الحدث العربي و الدولي**، ع24، طبع مجموعة كورلي، باريس، نوفمبر2002، ص44.

[4] – محمود قاسم، الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص18.

و هذا لا يعني أن السياسة لم تكن من بين أهداف الجمعية ، فقد اتفق مؤسسوها الأوائل على إخفاء البعد السياسي الثوري الذي كانوا يهدفون إليه من وراء المقاصد الدينية و الثقافية و عملوا لها جهرا و نهرا ، فأعمالهم تقوم أساسا على التربية و التعليم و محاربة الآفات الاجتماعية و إحياء القيم الإسلامية العربية ، و اتخذوا لذلك برنامجا واضحا (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، و الجزائر وطننا) ، مما لا يصعب فهمه ، و إدراك مغزاه على احد ، فكان هدف الجمعية في المجال الديني و الاجتماعي هو بعث نهضة دينية فكرية تقوم أساسا على القران و السنة النبوية و في المجال السياسي تهدف إلى بعث شخصية وطنية أصلية لا تتأثر بالتيارات الشرقية و لا الغربية المعروفة [1].

و حسب وجهة نظر فرنسية يمكن تلخيص برنامج الجمعية في هدفين أساسيين:

1- **هدف قريب المدى**[2] : يتمثل في تصفية الإسلام مما علق به من شوائب و محاربة جهود الزوايا ، و إحياء اللغة العربية و هذا بنشر المدارس و المساجد ...، مع فصل الدين الإسلامي عن الدولة و الوقوف ضد محاولة مسح الشخصية الجزائرية بكل أنواعها .

2- **هدف بعيد المدى** : يتمثل في محاولة استرجاع استقلال الجزائر ، و تكوين دولة عربية إسلامية فقد أعلن ابن باديس سنة **1936** م و هو مازال عضوا في المؤتمر الإسلامي[3]، إن الهدف من وجود الجمعية هو ضمان الشخصية الجزائرية و في هذا الصدد يقول[4]: " لا بد من الجمع بين السياسة و العلم ، و لا ينهض العلم و الدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد ..."

---

[1] – محمد خير الدين، المصدر السابق، ص10.

[2] – محمد مبارك الميلي ، ابن باديس و عروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980، ص25.

[3] – أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص85.

[4] – عبد الحميد ابن باديس ، المصدر السابق، ص81.

و هكذا فالعلماء يؤكدون و يدركون بان النهضة العلمية و الدينية في الجزائر لا يمكن أن تكون بمعزل عن السياسة ن و هذه هي الأهداف التي حددها زعماء الجمعية أثناء الفترة المدروسة ما بين **(1931-1939)** ، لان الزعماء الذين عاشوا بعد الاستقلال غيروا في أهداف الجمعية و حددوها بطريقة أخرى ، فالإبراهيمي مثلا في مجلة مجمع اللغة العربية سنة **1966** رأى أن الجمعية كانت تهدف إلى محاربة ضربين من الاستعمار[1]:

الأول داخلي : و تمثل في إنصاف المثقفين ، و رجال الطرق و الزوايا الذين جنوا على الإسلام فالحقوا به الرذائل .

الثاني خارجي : تمثل في محاربة الاستعمار الفرنسي الذي اغتصب ارض الجزائر و أذل شعبها ، و قد اختارت الجمعية أن تبدأ بالأول (أي الطرقين) لأنهم أكثر تأثيرا على الشعب .

أيضا ارجع خير الدين[2] أهداف الجمعية إلى محاولة تحقيق الاستقلال و تحرير الوطن و هذا الرأي ذهب إليه أيضا احمد توفيق المدني[3] .

و في النهاية يمكن تلخيص أهداف الجمعية في قول الإبراهيمي [4]:

" إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده و تطالب باستقلال قضائه ... و تطالب بحرية التعليم ، تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة و الإسلام مجتمعين في الوطن ..."

---

[1] -احمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص48.

[2] – ولد ببسكرة1902، تعلم بقسنطينة على يد ابن باديس، التحق بالزيتونة و تخرج منها 1927، أثناء ح ع2 شارك في تأسيس أحباب البيان و الحرية، و تعرض للسجن بسببها، شارك في تكوين الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها، عين عام1958 عضو بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية، توفي سنة 1944، للمزيد من الاطلاع **انظر:** خير الدين، **المصدر السابق** ، ص.ص350،349.

[3] – ولد بتونس 1-اكتوبر1899 من أصل الجزائري، دخل المدرسة القرانية1905 و دخل إلى جامع الزيتونة1913، سجن بتهمة التحريض على مقاومة الاستعمار الفرنسي1915 ، ولما خرج شرع في عمله السياسي في الحزب الدستوري التونسي، ابعد إلى الجزائر1925، واصل نشاطه كمحرر ، كاتب و صحفي، كان له نشاط مستقل من خلال مشاركته في البيان الجزائري و جبهة الدفاع عن الحرية 1951، شارك بقلمه في جريدة البصائر و توفي سنة 1983، ترك للجزائر عدة مؤلفات.**انظر:** احمد توفيق المدني، **حياة كفاح، مذكرات(1925-1954)** ، ج2، د.ط ، الشركة الوطنية،، الجزائر، 1977، ص407.

[4] – احمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1997م، ص42.

أما عن مبادئها فتتمثل فيما يلي[1] :

1-إحياء الدين الإسلامي و تطهيره من الشوائب التي علقت به .

2-تطوير الثقافة العربية الإسلامية .

3-توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة و الإسلام .

4-توعية الشباب الجزائريين بالشخصية الجزائرية و التهيئة للنضال في المستقبل .

5-إقامة جسور للتعاون بين الجزائر و الدول العربية و الإسلامية .

6-الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس و المغرب .

7-نشر التعليم العربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية .

[1] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص264.

المطلب الثالث : تنظيمات الجمعية ووسائلها

إن المحرك الأساسي للحركة الإصلاحية في الجزائر هو وجود مجموعة من الأشخاص الذين كان جلهم مشهورين بالاسم فقط ، وقد لعبوا هؤلاء أدوارا مختلفة جدا ووظائف متميزة للغاية ، و قد خدمت مواهبهم المتنوعة القضية الإصلاحية وفق طرائق تعبير مختلفة [1]، و نذكر من بين هؤلاء زعماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، الشيخ الإبراهيمي ،الشيخ الطيب العقبى ،الشيخ مبارك الميلي ،الشيخ العربي التبسي.

وقد استعمل ابن باديس عدة وسائل و أساليب لتحقيق أهدافه وهو البدء في التعليم ،إنشاء مدارس الحرة ،و اتخذ من الجامع الأخضر معهدا لنشاطه العلمي و التعليمي و التربوي[2].

أما البشير الإبراهيمي فبعد انتهاء حرب العالمية الأولى رجع إلى الجزائر، ليتابع فيها جهاده ،واخذ في نشر العلم و الأدب من اجل الإصلاح الإسلامي الاجتماعي و كتابة المقالات و نشرها على أعمدة الصحف في مختلف الموضوعات ، ومن مسيرة جهاده هو إنشاء جمعية علماء المسلمين فبدا في نشر الفكرة الإصلاحية في المدن و القرى و المداشر و بعد تأسيس جمعية عين نائبا لها ،فكلفته في ذلك بالقيام بالعمل الإصلاحي في منطقة غرب الجزائري و انشأ الكثير من المساجد الحرة و النوادي و المدارس أهمها دار الحديث بتلمسان التي كان يلقي فيها أكثر من عشرة دروس يوميا و في سنة 1935م قام بجمع تقارير مؤتمر جمعية العلماء المسلمين في كتابه سمه سجل المؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن مؤلفاته و أثاره هي أسرار الضمائر العربية ،التسمية بالمصدر[3].

---

[1] – عبد الحميد ابن باديس ، أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، ج1، د.ط، وزارة الثقافة العربية ،الجزائر، 2007، ص480.

[2] – المصدر نفسه، ص481.

[3] – محمد حسن الفضلاء، المرجع السابق، ص30.

و الطيب العقبي قد عجل إلى دعم جهوده من اجل العمل الإصلاحي منذ تاريخ تأسيس الجمعية ،و ركز أيضا أثناء خطبه على ضرورة الأخذ بالكتاب والسنة النبوية الشريفة و خلال فترة الثورة التحريرية كان الشيخ الطيب العقبي طريح الفراش يعاني من مرض السكري[1].

و فيما يخص مبارك الميلي قد استطاع بفضل دروسه العلمية و التربوية أن يغير من الحياة الاجتماعية و الثقافية بين سكان تلك المنطقة و كذالك استطاع أن يدعم الحركة الإصلاحية، و شارك الميلي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين كما كان عضوا بالمجلس الإداري إذ شارك بمقالات جريئة في إشعال الثورة في جرائد الجمعية مثل: المنتقد ،الشهاب ،البصائر ،و في سنة 1937م جمع مقالاته في كتاب سماه (رسالة الشرك و مظاهره)[2] .

كما كتب الميلي كتابا حول تاريخ الجزائر قسمه إلى جزأين الجزء الأول نشره سنة 1928م و في الجزء الثاني نشره سنة 1932م ،و كان اسم الكتاب تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،و في سنة 1937م نصب مديرا لجريدة البصائر و اصب حامين مالية جمعية علماء المسلمين منذ 1931م .[3]

[1] – احمد مريوش ، الشيخ طيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ط1، دار الهومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر،2007،ص 145.

[2] – محمد حسن الفضلاء ،المرجع السابق ،ص39.

[3] – احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص36.

لقد ظهر العربي التبسي على الساحة الرسمية للحركة الإصلاحية ،حيث أصبح أمين عام لهذه الجمعية وبعد وفاة ابن باديس في 1940م و عندما عين الإبراهيمي على رأس جمعية العلماء أصبح التبسي نائبا لرئيسها ومنذ 1953م أصبح تقريبا قائد الحركة الإصلاحية الجزائرية ،وشارك مشاركة قوية في علوم الشريعة و الأدب و كان يمارس نشاطات مختلفة (الصحافة ،الخطابة ،التدريس ،الإدارة) و الهدف منها واحد هو إصلاح الفساد الذي لحق بالمجتمع و معتقدة متمثلا في الدين الإسلامي ويتمثل نشاطه الصحافي من خلال المقالات التي بدا بنشرها في جريدة النجاح ثم الشهاب [1].

أما الخطابة فلعبت دورا أساسيا في تنوير عقول الجزائريين ،بل كانت الكلمة هي سلاحه أينما حل يواجه به الضلال و الظلم و الفساد الذي لحق بالجزائريين نتيجة الوجود الاستعماري.[2]

لقد كانت الطريقة التي اختارها الشيخ عبد الحميد ابن باديس لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي على المدى البعيد و أحداث النهضة الحقيقية في الجزائر تقوم على أساس مجموعة من الدعائم هي في الحقيقة واقع دعائم كل نهضة اجتماعية و سياسية و ثقافية و اقتصادية لكل شعب ينشد التقدم والتطور و يطمح إلى الحرية و الاستقلال .

[1] – خالد أقيس ، الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين ، ج3، د.ط، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 5.

[2] – المصدر نفسه، ص6.

و يمكن تلخيصها في انجاز و تركيز في الأمور التالية [1]:

1-تأسيس المدارس و المعاهد العلمية لتربية الأجيال الصاعدة و إعداد القادة القادريين على الأمة في كل مجالات الحياة اليومية بقدر الإمكان .

2- تكوين المطابع لإحياء الثقافة العربية الإسلامية و الوطنية و نشرها في الكتب و المجالات و الجرائد بين الناس .

3- تأسيس الجرائد و المجالات للتكوين الديني و السياسي للمواطنين الجزائريين ، و تأسيس المساجد الحرة و النوادي الحرة للتربية الدينية و السياسية و الوطنية للشباب و الرجال و النساء ، استعدادا لخوض معركة الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار الفرنسي حين يحين وقتها و تتهيأ الأسباب الموضوعية لاستعمالها .

و من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تكوينها في عام **1931** و هي [2]:

1- مجلة الشهاب : بعد أن تحولت من جريدة إلى مجلة(**1929-1939**)

2- السنة المحمدية 1933 م : صدر أول عدد منها في الثامن من ذي الحجة عام **1351 هـ** الموافق للعاشر من افريل سنة**1933** أي بعد سنتين من تأسيس الجمعية و ما صدر منها إلا **13** عددا حتى أوقفتها السلطات الاستعمارية ، فكان آخر عدد يوم **1** ربيع الأول سنة **1352 هـ** الموافق ل **3** جويلية **1933** .

3- الشريعة المطهرة 1933 م : طبع أول عدد منها يوم الاثنين **24** ربيع الأول **1352 هـ** الموافق ل **17** جويلية **1933** و استمرت حتى عددها السابع يوم الاثنين **7** جمادى الأولى **1352 هـ** الموافق ل **28** أوت **1933** ، أين جاء قرار تعطيلها ، قد واكبت هذه الجريدة السنة الثالثة لجمعية العلماء المسلمين كما بينه عام الأول منها .

[1] - تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص.ص87.89.

[2] - المرجع نفسه، ص92.

4- الصراط السوي 1933-1934 : صدر أول عدد يوم الاثنين **21** جمادى الأولى عام **1352هـ** الموافق ل**11** سبتمبر **1933** و صدر منها **17** عددا حتى **22** رمضان **1352هـ** الموافق ل **8** جانفي **1934** .

5- البصائر 1935- 1939: ثم من 1947 إلى غاية قيام الثورة :[1]بعد توقيف جريدة الصراط السوي أعادت الجمعية طلبها الرخصة القانونية بإصدار جريدة تكون لسان حالها و بعد مدة ليست بالقصيرة أذنت لها الإدارة الاستعمارية بإصدار جريدة البصائر و ذلك في 10 شوال 1354 هـ الموافق ل 27 سبتمبر 1935 و قد اشرف عليها الشيخ الطيب العقبي من أول عدد لها 27 سبتمبر 1935 إلى العدد 83 الصادر في 30 سبتمبر 1937 حين تحولت إدارة تحريرها من العاصمة إلى قستطينة ، و عين المجلس الإداري لجمعية العلماء الشيخ مبارك الميلي مديرا و محررا لها خلفا للشيخ العقبي إلى أن توقفت بسبب الحرب عند العدد 180 الصادر في 25 أوت 1939، و تعد جريدة البصائر الجريدة الوحيدة التي بقيت تصدر بعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس من بين الجرائد التي اشرف على إصدارها ، حيث عادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من 1947 ، و قد بدأت صدورها يوم 25 جويلية 1947 و لكنها لم تلبث أن توقفت عن الصدور مجددا من طرف المشرفين عليها سنة 1956 م بسبب إقدام الثورة و تأزم الأوضاع.

[1] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص12.

و قد كانت جمعية العلماء بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس تعمل على تكوين جيل قرائي في الجزائر ، و ذلك عن طريق تدريس القران لتلامذتها بأسلوب حي و طريقة فعالة ، و من ناحية الكتب فقد عملت الجمعية على إصلاح الكتب الدراسة سواء في التعليم المدرسي أو المسجدي أو التعليم و التهذيب في النوادي و هي وسط بين المدارس و المساجد و هذه هي المؤسسات التربوية الثلاثة التي كانت جمعية العلماء تقوم بالتعليم بها [1].

إضافة إلى كل هذه التنظيمات ، كانت جمعية العلماء تعتمد على عدة وسائل توزع عليها العمل و هي كالأتي[2] :

1- المدارس الابتدائية : كانت لتعليم الأطفال الصغار نهارا و الشباب و الكهول لبلا .

2- المساجد: و هذه كانت تقوم فيها دروس الوعظ و الإرشاد و التوجيه الإسلامي للكبار نهارا و ليلا.

وقد كان أعضاء الجمعية و أنصارها من العلماء و الأدباء يتولون عملية إلقاء هذه الدروس في سائر أنحاء الجزائر مجانا وبدون أي مقابل.

3- النوادي: و هي وسط بين المدرسة و الجامع، و هنا كانت الجمعية توجه فيها عنايتها بالدرجة الأولى إلى تربية الشباب و تهذيبهم و تنظيمهم في المنظمات العامة كالكشافة و الجمعيات الرياضية و الفنية و الثقافية المتنوعة.

[1] – تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956) ، ط1، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص105.

[2] – المرجع نفسه، ص 107.

المبحث الثالث : الطرق الصوفية و الزوايا

يعد التصوف مبحثا من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي ، حيث يرتكز التصوف الإسلامي على ثلاث مكونات أساسية وهي :الكتابة الصوفية والممارسة الروحية والإصلاح الصوفي، وتحتل الطرق الصوفية أهمية كبرى في الحياة الفكرية ، ومن القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني و إذا كان الاختلاف في الرأي اشد ما يكون حول المتصوفين من يمدح التصوف و يدعو إليه وبين من ينبذه و ينفر منه ، فان الطرق الصوفية في الغالب ليست موضوع جدل ، إذ جل الحركات الإصلاحية و الدعوات التجديدية في العالم الإسلامي تتفق على نبذ انحرافات الطرق، و اشد هذه مفاسد كان الاختلاف في الرأي اشد ما يكون حول الطرقية[1].

المطلب الأول : نشأتها

يكثر الخلاف حول التصوف بين من يعتبره إسلامي النشأة و بين من يرجعه إلى أصول أجنبية دخيلة على الثقافة الإسلامية، و الملاحظ انه غالبا ما يكون هذا الاختلاف مظهرا لتجاذب الآراء بين مادح للتصوف و ذام له ، و ليس غرضنا تتبع تلك الآراء المتعارضة إنما أن نتعرف على آراء علماء الجمعية في الموضوع و خاصة على رأي البشير الإبراهيمي الذي يقدم بين أيدينا عرضا لتاريخ ظهور التصوف و حقيقته و مراحل تطوره و خصائص كل مرحلة و ما آل إليه[2].

[1] – نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما، ج1، ط2، دار الأنوار للنشر و التوزيع، د.م.ن، 2016م ، ص19

[2] – احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص341.

يرى البشير الإبراهيمي أن التصوف في حقيقته و نشأته[1] " نزعة مستحدثة في الإسلام، لا تخلو من بذور فارسية قديمة، بما أن نشأة هذه النزعة كانت ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة و اصطباغ بغداد بالألوان الفارسية في الدين و الدنيا معروف ، و هو لا يطمئن إلى هذه النزعة المستحدثة في الإسلام و يشك في نوايا منتحليها فتدسس بعض المتنطعين من الفرس إلى مكامن العقائد الإسلامية لإفسادها، لا يقل عن تدسس بعضهم إلى مجامع السياسة و بعضهم إلى فضائل المجتمع و آدابها لإفسادها."

فعلى رأي الإبراهيمي [2]:" فان التصوف الذي ظهر في المجتمع الإسلامي ببغداد هو مذنب مدسوس لتحقيق إغراض معينة معلومة عند أصحابها و لم يكن إسلامي النشأة على عكس رأي القائلين بان التصوف امتداد لظاهرة الزهد و الاجتهاد في العبادة التي ميزت الصدر الأول من الإسلام" ، بل يذهب إلى القول بان التصوف مزيج من تعاليم و أراء مختلفة فارسية و يونانية و فيها أيضا شيء من مظاهر المسيحية وهو التسليم المطلق و شيء من مظاهر البرهمية و هو تعذيب الجسد و إرهاقه."

و من الواضح إذن أن الإبراهيمي يركز على العوامل الأجنبية الدخيلة في ظهور هذه النحلة في البيئة الإسلامية و انه يفرق بين ظاهرة الزهد و ظاهرة التصوف و هو يعتبر الزهد و الانقطاع عن الدنيا لباسا خادعا تستر به أولئك المغرضون حين يصف التصوف بأنه[3]: "نزعة غامضة مبهمة تسترت به في أول أمرها بالانقطاع للعبادة و التجرد من الأسباب و العزوف عن اللذات الجسدية و التظاهر بالخصوصية لكنه يفرق بين المنتسبين إلى التصوف الآخذين به من القاصدين كالجنيد و من الغاليين كالحلاج و من الواقعين بين القصد و الغلو. "

[1] – احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص342.

[2] – محمد مبارك الميلي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتاب، الجزائر، ص38.

[3] – المصر نفسه، ص39.

وإذا كان الإبراهيمي قد ذكر العوامل الخارجية و لم يشير إلى العوامل الداخلية ، فان مبارك الميلي قد أشار إلى هذه العوامل الخارجية و الداخلية على الأقل في بداية ظهور التصوف و ذلك حين قال [1]: "ودخلت لفظة التصوف اليونانية س إلى العربية لما ترجمت كتب اليونان و الهند في الدور العباسي لا سيما أيام المأمون، و كان ذلك العصر عصر اختلاف ديني و اضطراب سياسي فاخذ من التصوف كل فريق حسب استعداده و صوره بما يلاءم غايته فقد ذهب الإبراهيمي إلى القول بان بداية التصوف كانت بسيطة تنحصر في الخلوة للعبادة أو الجلوس لإرشاد و تربية من يشهد مجالسهم و أن موضوع التصوف كان مجاهدة النفس و تزكيتها لتنعم بمرضاة الله تعالى.

لذلك كانت سيرة المتصوفة و غايتهم هي[2]: " التبتل و الانقطاع للعبادات التي جاء بها الإسلام و مجاهدة النفس عن طريق الرياضة بفطمها عن الشهوات حتى تصفو الروح و ترق و تتأهل لمشارفة الملء الأعلى و تكون بمقربة من أفق النبوة و تتذوق لذة العبادة الروحية ."

فبعد أن كان التصوف نزعة روحية بسيطة عند بعض الأفراد الذين اثروا الدنيا و مجاهدة النفس ابتغاء مرضاة الله و تقربا منه تطور إلى تأمل فكري و استغراق روحي.

ثم تطور التصوف مرة أخرى إلى ممارسة جماعية طرقية إذ التف المؤيدون والأتباع حول الشيوخ المربين في دور الصوفية و الزوايا و الربطات التي تحولت إلى مؤسسات دينية متميزة لها تأثيرها في المجتمع حيث لعبت أدوار اجتماعية و سياسية مختلفة تبعا للظروف المتغيرة [3].

[1]– محمد مبارك الميلي ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق ، ص40.

[2] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص 22.

[3] – المرجع نفسه، ص 23.

و تعد الطريقة الصوفية في رأي السنيين هي التي تأسست على صفتين هما انقطاع القلب عن الأخيار و خلو اليد من الدنيا الغادرة ،و ا ن أول طريقة هي التي كانت على يد أبي بكر الصديق و لهذا كان للتصوف طرق كثيرة ، إذن فالطريقة هي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية و الحقيقة الإلهية ، كما نجد أن هناك من يطلق على الطريقة اسم الورد الذي هو المنبع و هو أيضا الدخول في الطريقة إذ يقال ورد أو دخل الطريقة على حد سواء ،على أن الداخل في الطريقة يأخذ الورد من الشيخ أو خليفته و بهذا يصبح الورد هو تعاليم الطريقة و عقيدتها أو مذهبها[1].

تعريف الزوايا[2]:

هي عبارة عن مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأشكال و الأحجام تشمل بيوت للصلاة كمساجد و غرف لتحفيظ القران و أخرى كمسكن للطلبة و تخزين للمواد الغذائية و غيرها مؤسسوها رجال الدين المتصوفون انتشرت بالشكل الواسع و المكثف في القرن السابع عشر خلال الزحف الاستعماري في القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين الزاوية عادت تعني الركن من البيت و قد تولدت عنها معاني كثيرة منها انزواء الناس بعضهم لبعض، أي تضامنوا و تألفوا و قد أخذت الزاوية في شمال إفريقيا ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة و غرفة للصلاة و ضريح لولي صالح و غرف لتحفيظ القران و استقبال الزائرين.

[1] – احمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص344.

[2] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق ، ص 26.

ظهرت حركة التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر نتيجة لعوامل و إرهاصات دينية و اجتماعية و سياسية و اقتصادية تعود بجذورها إلى القرن التاسع ميلادي تخمرت عبر قرون ونتج عنها ميلاد الحركة الصوفية مرت عبر عوامل مختلفة و هي كالآتي [1]:

العوامل السياسية:

1_ سياسة الدولتين الحمادية و المرابطية :

شكل المناخ السياسي في الدولتين الصنهاجيتن الحمادية و المرابطية، عاملا أساسيا، أدى إلى نشأة التصوف في المغرب الأوسط خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري –الثاني عشر ميلادي فالمرابطون كانوا قبل بداية دعوتهم و في أثنائها أهل ربط ملتزمين بالسنة على المذهب المالكي يعكس هذا حبهم للدين من خلال بذل أنفسهم من اجل كلمة الحق لذا كان أمراءهم على درجة عالية من الزهد و التبتل[2] .

2 _ تولي المرابطين و شيوخ الطرق حركة الجهاد و مهمة الدفاع عن السواحل و المدن التي تكالب عليها الأسبان، خاصة بعد أن ثبت ضعف الحكام وعجزهم مما جعل شيخ الطريقة محل رجل الدولة في اعتبار المريدين.

3 _ اعتماد الحكومة العثمانية على المرابطين و شيوخ الزوايا وزعماء القبائل في بسط نفوذها على البلاد وجباية الزكاة و جمع الضرائب و إسكات الخصوم [3].

[1] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص 27.

[2] – طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 6–7 هو 12–13م ،د.ط ، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص.ص85–86.

[3] – أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص151.

4 _ تشجيع العثمانيين للمرابطين و أصحاب الطرق بإظهار الاحترام لهم و التقرب منهم، بالهدايا و إسقاط الضرائب عنهم و السكوت عن انحرافاتهم، و قد فهم الناس أن هناك تحالفا بين الحكام و بين المرابطين و شيوخ التصوف ، فاندفعوا نحو الطرق التي تدفقت على الجزائر من المشرق من والمغرب لكن هذه السياسة تغيرت في أواخر الوجود العثماني، و حدث صدام مع بعض الطرق الصوفية كالتجانية و الدرقاوية .

5 _ الحروب الطويلة التي دارت بين الحكام المتنازعين على السلطة ، أنهكت القبائل و تركت اثأر عميقة في الإنسان المغربي ، تجلت في رد فعله المتمثل في الهروب إلى التصوف و الالتفاف بالمرابطين و شيوخ الطرق حيث يجد عندهم الاطمئنان و النفسي و الأمل في النجاة و الأعوان وقت الشدة [1].

العوامل الاجتماعية :

يمكن أن نلخص العوامل الاجتماعية كما يلي[2]:

1 _ انشغال الحكومة بالجهاد، و الشؤون المالية و الإدارية و إهمالها لشؤون المجتمع جعلها لا تمثل السلطة الفعلية في البلاد، و تترك فراغا ملأته الزوايا و الطرق إذ كانت شؤون الدين و التعليم و تربية النشء، و سائر الأعمال الخيرية تقع على عاتق المساجد و المدارس و الزوايا ، التي انتشرت بكثرة في المدن والأرياف .

2 _ إرهاق الحكومة للقبائل بالضرائب في أخر العهد العثماني ما جعل القبائل تلتف حول الطرق الصوفية كقوة جديدة تحميها خاصة و أن أتباعها يتألفون من عشرات القبائل .

3 _ انتشار البذخ و الترف عند فئات معينة نتيجة الثراء الفاحش و تراجع القيم الدينية و الأخلاقية حيث أهمل الخاصة و العامة الكثير من مبادئ الدين، و قد حارب الصوفية هذا الانحراف و قاوموا بكل السبل و الطرق هذه الاختلالات مما أدى إلى انتشار مذهبهم .

[1] – أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)، المرجع السابق، ص 250.

[2] – المرجع نفسه ، ص269.

العوامل الثقافية :

يمكن أن نلخص العوامل الثقافية في ما يلي [1]:

1 _ تميز الحياة الفكرية بالجمود العقلي و الركود العلمي و انتشار الخرافة التي لم تعد قاصرة على عقول العامة من الناس بل شملت أيضا كثيرا من العلماء .

2 _ هجرة كثير من علماء الجزائر إلى المشرق و المغرب بسبب الاضطرابات السياسية مما أدى إلى ضعف الإنتاج الفكري و تدني المستوى العلمي ، خاصة بعد أن اخذ بعض علماء المساجد يبسطون المعارف و يكتفون بتكرار القديم حرصا على الإتباع و منافسة أصحاب الزوايا و من العلماء الذين فقدت البلاد الجزائرية بهجرته ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية (احمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار الذي كان وحده خزانة علم و دائرة معارف و غيره كثيرون) .

و من أهم الطرق الصوفية في الجزائر يمكن أن نتناولها [2]:

1_ الطريقة الشاذلية :

تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الذي ولد بقرية غماره التابعة لمدينة سبته المغربية عام(593 هـ _ 1197 م) و توفي بالحميثرة في صعيد مصر قاصدا الحج عام(656 هـ_ 1258 م) و دفن هناك انتشرت الطريقة الشاذلية انتشارا واسعا، و خاصة في المغرب العربي حيث أحصيت به ثلاثة عشر طريقة شاذلية من مجموع ست عشرة طريقة و كان معظم المرابطين الجزائريين من أتباع الطريقة الشاذلية قبل الوجود العثماني و من أوائل هؤلاء المرابطين خلال العهد المذكور، أبو العباس احمد بن يوسف الراشدي دارا و نسبا الملياني 927 هـ كان احمد بن يوسف الملياني كثير التلقين للعامة و للنساء، كثير الأتباع ، انتشرت طريقته في الجزائر و في المغرب الأقصى[3].

---

[1] – أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص270.

[2] – نور الدين أبو لحية ،المرجع السابق ، ص 88.

[3] – أبو قاسم سعد الله ، المرجع نفسه، ص271.

و اقلق الدولة الزيانية بالتجمعات التي كان يعقدها في رأس الماء و في تلمسان و في وهران و نواحي البطحاء و خشت انفجار الثورة بها، لتراخي قبضتها عنها، فحاولت الحد من نشاطه فسجنته ثم خرج من السجن[1].

كما تسبب أتباعه في حدوث اضطرابات في المغرب الأقصى علت أمي فارس يحاربهم و يطاردهم و في هذه الظروف التي اشتد فيها الخلاف بين المليانى و الزيانيين سعى العثمانيون إلى التحالف مع المليانى ، و كان هذا الأخير وحزبه خير نصير و حليف للاستيلاء على تلمسان مقابل عدم تعرض العثمانيين لمليانى و لطريقته وأولاده و إتباعه و ظل هذا التحالف محترما من الطرفين[2] .

2_ الطريقة الرحمانية :

أسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم الحسنوي الزواوي الذي ولد بين (1720م_1714م) بقرية بعلاوة بعشيرة ايت إسماعيل من إقليم قشتولة من ارض جرجرة تعلم على يد ابن أعراب في قرية ايت ايراثن، و بعد أن اخذ عن علماء العاصمة،سافر إلى المشرق عام 1740م فحج ثم نزل بالقاهرة مجاورا الأزهر الشريف فترة طويلة ،اخذ فيها عن كثير من علماء مصر و شيوخ التصوف و كان من أهمهم محمد بن سالم الحفناوي الذي لقنه الطريقة الخلوتية و عهد إليه بالدعوة إليها في الهند و السودان ثم رجع بإذن من شيخه إلى بلاده عام 1769 م و اخذ في تلقين طريقته و في التربية و التعليم، حتى اخذ عنه خلق كثير و اشتهر أمره، وانتقل إلى الحامة بالقرب من العاصمة و اخط يوسع دائرة دعوته ، لكن تلقى معارة شديدة من قبل علماء البلدة و مرابطها ،ساقته إلى المثول أمام مجلس العلماء ، و انتهى الأمر بتبرئته من تهمة الزندقة[3] .

[1] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 272.

[2] – أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص. ص –267 .266 .

[3] – نور الدين أبو لحية ، المرجع السابق ، ص 84.

و كان ذلك بإيعاز من الحكومة التي خشيت ثورة أتباعه الذين كانوا يشكلون حلف قشتولة المستقل عن السلطة العثمانية ، و على اثر هذه الحادثة[1]، عاد محمد بن عبد الرحمان إلى زاويته بايت إسماعيل، و بعد ستة أشهر ، جمع مريديه ، و عين لهم عليا بن عيسى المغرب خليفة له و أوصاهم ترك له كل ما يملك، و توفي محمد بن عبد الرحمان في اليوم التالي عام(1208 هـ_ 1793 م) و بعد وفاته، تدفق الزوار من كل مكان على الزاوية الأم، و زاد نفوذ الطريقة [2].

الأمر الذي اقلق الحكومة، فدبرت لاستخراج جثمانه و نقله إلى الحامة .حيث دفن و بني عليه مسجد و قبة، و لما تحقق سكان ايت إسماعيل بعد نبش القبر أن الجثة في مكانها، اعتبروا ذلك كرامة له[3].

واشتهر محمد بن عبد الرحمان منذ ذلك الحين بلقب "بوقرين" لم يقتصر محمد بن عبد الرحمان على نشر تعاليمه في بلاد القبائل و العاصمة ، بل مد نشاطه أيضا إلى الشرق الجزائري عن طريق خليفة له قسنطيني هو مصطفي بن عبد الرحمان بن الباش تارزي الكر غلي و خلال مدة ثلاث وأربعين سنة120هـ، 1251 هـ)(1793 م _1835 م)، استطاع الخليفة الأول: علي بن عيسى المغربي أن يدير الزاوية الأم بكل خدمة و نجاح و أن يوسع من نفوذ الطريقة التي اشتهرت زواياها بنشر العلم[4].

[1] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص299.

[2] – نور الدين أبو لحية ، المرجع السابق ، ص87.

[3] – المرجع نفسه، ص87.

[4] – نور الدين أبو لحية، المرجع نفسه ، ص88.

3_ **الطريقة القادرية :**

تنسب الطريقة القادرية إلى عبد القادر الجيلالي بن أبي صالح موسى جنكي، المولود بقرية جيلان وراء طبرستان سنة (470 هـ _1077 م) و قيل سنة (471 هـ_ 1078 م) ، و المتوفى ببغداد سنة(561 هـ_1166م) و يعتبر عبد القادر الجيلالي الولي الأكثر شعبية في العالم الإسلامي .بما عرف عنه من علم و تقوى و دعوة إلى الإصلاح و التجديد، و جهاد دام أكثر من نصف قرن فقد فتح باب البيعة و التوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل أنحاء العالم الإسلامي، يجددون العهد و الميثاق مع الله.[1]

و قد انتشرت الطريقة القادرية في المغرب العربي عن طريق ذرية عبد القادر الجيلالي من مصر و الأندلس، و خاصة بعد هجرة بعض أحفاده إلى الأندلس و إلى فأس، أما في الجزائر فقد ظهرت الطريقة القادرية[2] قبل مجيء العثمانيين، فقد تحدث حسن بن باديس صاحب السينية عن عبد القادر الجيلالي و طريقته في القرن الثامن هجري و قد كانت العلاقة بين العثمانيين و القادرية، علاقة ود و احترام لكن خالطها في العهد الأخير بعض الشك و عدم الاطمئنان.

إذ تخوف رجال الحكومة من أسرة محي الدين بن الحاج مصطفى الغريسي، التي ما فتئت مكانتها تزداد و نفوذها يتعاظم في منطقة الغرب الجزائري ،و لما سمحت الفرصة لحاكم وهران حسن باي قام باحتجاز محي الدين و ابنه عبد القادر بوهران لمدة، و ذلك لما أراد الخروج للحج سنة 1243 هـ، و لم ينجوا من عقابه، إلا بوساطة بعض رجال المخزن ووساطة بعض أفراد أسرة الباي نفسه[3].

[1] – أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق ، ص503.

[2] – المرجع نفسه، ص504.

[3] – المرجع نفسه، ص470.

4_ الطريقة التجانية:

أسس الطريقة التجانية احمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني أبو العباس من أولاد سيدي الشيخ محمد المولود بعين ماضي قرب الاغواط عام(1150 هـ_1737 م) حفظ القران صغيرا، و اشتغل بطلب العلوم السائدة آنذاك .و كان من شيوخه المبروك بن بوعافية التجاني، ثم ارتجل إلى المغرب الأقصى عام (1171 هـ_ 1757 م) بقصد الزيارة و البحث عن شيوخ التصوف ، و قد التقى ببعضهم واخذ عنهم الطرق القادرية و الناصرية و الصديقية و تركها جميعا و تذكر بعض المصادر أن احمد التجاني الاباضي قد طرد من وسط الجماعة الاباضية ، تبرا منه بسبب ما كان يتعاطاه من ادعاء الكرامات، و ظل التجاني متجولا في بلاد المغرب و المشرق، عاملا على الإعداد لتأسيس طريقته في قرية أبي سمعون جنوب الأبيض، أعلن عن طريقته عام (1196 هـ_1781 م) مدعيا انه تلقاها عن النبي صل الله عليه و سلم و استمر في نشر تعاليمه بجد و نشاط ، و متجولا عبر الصحراء و توات و السودان وتونس و منشأ الزوايا التجانية[1].

و قد تخوفت الحكومة من قوة الطريقة التجانية و قام محمد الكبير باي وهران بالاستيلاء على عين ماضي عام (1199 هـ_ 1784 م) و فرض عليها إتاوة سنوية و لما أرسل باي وهران عثمان بن محمد الكبير إلى التجاني مهددا و متوعدا، أزمع هذا الأخير على الهجرة ، ارتحل بأهله و بعض إتباعه حتى نزل بفأس عام(1213 هـ_1798 م) و استقر " بقصر حوش المرايات" مكرما و داعيا إلى طريقته إلى أن وافته المنية عام(1230 هـ_1815 م) عادا ولدا التجاني محمد الكبير و محمد الصغير المعروف بالحبيب إلى عين ماضي بينما ظل خليفة التجاني الحاج على بن عيسى بزاوية تماسين[2] .

[1] – أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،المرجع السابق ، ص 241.

[2] – المرجع نفسه، ص 242.

و في سنة (1240 هـ_ 1825) ما اعترضت قوات باي قسنطينة محمد الكبير ، عن عودته من الحج لكنه نجا و أعلن في إتباعه شق عصا الطاعة ضد الأتراك بين سنتي (1241هـ _ 1242هـ) (1826 م _1827 م) ، لكن الثورة فشلت ،و قتل محمد الكبير بمعسكر عام (1242هـ_ 1827 م) و فرضت الحكومة على أهالي عين ماضي غرامة باهضة مع تقديم أثاث من فضة و ملابس و فراش و أغطية من صوف و استمر محمد الصغير يتولى بمفرده شؤون زاويته بعين ماضي، و اتجه في الدعوة إلى الطريقة[1] في الصحراء و السودان، بإرشاد من الحاج علي بن عيسى إلى أن توفي عام(1268هـ_ 1853م) .

على الرغم من انتشار التجانية في عين ماضي و تماسين و الاغواط و تقرت و ورقلة ووادي سوف، إلا أن زواياها[2] لم تكن معاهد للتعليم خلال العهد العثماني و لم تحظ بالانتشار الواسع في القرى والأرياف و بين الفلاحين كما هو الشأن مع الرحمانية لأنها طريقة ارستقراطية ينتسب إليها علية الناس والتجار.

5_ الطريقة الدرقاوية :

تنسب الطريقة الدرقاوية الشاذلية الأصل إلى مولاي العربي بن احمد بن الحسين الدرقاوي من الدارسة الإشراف بمراكش ،المولود بعد عام(1150 هـ_ 1737 م) المتوفى عام(1239 هـ_ 1823 م) بين بني زروال في زاوية بوبريح ، و قد انتشرت الطريقة الدرقاوية في المغرب الأقصى و في الجزائر و أصبحت حصنا يحمي سياسة سلاطين مراكش و كان من مقدميها في الجزائر بمنطقة وهران و نواحيها ،عبد القادر بن الشريف من قرية أولاد بليل قرب فرندة ،الذي قام بتأسيس زاوية لتدريس العلم و تلقين الأوراد[3] .

[1] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 242.

[2] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق ، ص90

[3] – المرجع نفسه، ص243.

و قد دخلت الطريقة الدرقاوية في مواجهة مسلحة مع العثمانيين على جهتين : إقليم وهران و إقليم قسنطينة ما أدى بالحكومة تضييق الخناق على رجال الطرق الصوفية و مراقبتهم ، وتتبع إخبارهم، و قد ذهب ضحيتها بعض رجال الدين[1] .

هذا إضافة إلى طرق أخرى لا تقل أهمية عن هذه الطرق و نذكر منها [2]:العيساوية، الشيخية ، الطيبية، الحنصالية ، الزيانية، السنوسية، العلوية ، الكرزازية و غيرها...

[1] – أبو قاسم سعد الله،، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص221.

[2] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص 38.

المطلب الثاني: دور الطرق الصوفية بالجزائر

– لعبت الطرق الصوفية و زواياها الدينية أدوارا مهمة في الحياة الدينية و الثقافية و الاجتماعية، بل وحتى السياسية بالجزائر، و في كل بلدان المغرب الإسلامي، كما كان لها تأثيرا سلبيا في نفس المجالات[1]:

–الدور الايجابي[2]:

1– اهتمت بتحفيظ القران الكريم للأطفال و نشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة و نشرته بين مختلف الطبقات الاجتماعية فكان اغلب الناس يحفظون القران كله أو بعض أجزائه عن ظهر القلب على عكس اليوم و قد كان معظم الناس يطبقون تعاليمه الدينية و المادية خاصة ما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية و الجماعية.

2– احتضنت اللغة و الثقافة العربية الإسلامية و أنفقت بسخاء على تعليمها و تدريسها و كان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل و الأمية و نشر العلم و المعرفة في أوسع مجالاتها و خرجت أجيالا من كبار العلماء و الفقهاء و القضاة و حفاظ القران الكريم .

3– عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع التي لم إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية والأدغال الاستوائية كما فعلت التيجانية و السنوسية والقادرية.

4– عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة فقربت بين الفقراء و الأغنياء ،والعلماء و الأميين ،هذا الجانب له أهمية خاصة في تاريخ الزوايا بالجزائر،و معظم البلاد الإسلامية .

[1] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص 95.

[2] – المرجع نفسه، ص96.

5- لعبت دورا بارزا في إنهاء الخلافات و الخصومات بين مختلف الفئات و الطبقات الاجتماعية ،و ذلك بفضل مركز شيوخها و مقدميها ووكلائها ،فلعبت دور الحكم و قللت من المشاكل بين الناس،و تمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي و الخلقي و ساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية و اتخذ من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة له بدلا من الحكام المدنيين و قضاتهم الرسميين الذين قد لا يشبعون رغبتهم و لا يرتاحون لسلوكهم و أحكامهم.

6- كانت زوايا الطرق الصوفية بمثابة مخازن، ودواوين للكتب ، و المخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم و الفنون و المعارف ،و ذلك بفضل اهتمام شيوخها و طلابها بالعلم و التعليم و النقل و النسخ للكتب ، و التأليف و الجمع و الشراء و ما إلى ذلك من وسائل الاقتناء للكتب غير أن اغلب ما بها من هذا التراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال السيطرة الاستعمارية و تعرض جزء هام منه إلى الضياع و التلف العفوي[1] .

7- بذلت الطرق الصوفية جهودا كبيرة و جبارة خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية في مقاومة سياسة الفرنسة و التنصير التي سنتها الإدارة الفرنسية و عملت على حماية الشخصية الإسلامية و الوجه العربي الإسلامي للجزائر و شعبها ،وذلك بمختلف الأساليب و الوسائل و الإمكانات و في كل الظروف والأوقات و كان ذلك خيرا و بركة على البلاد وشعبها المتمسك بدينه وعروبته ثقافته العربية الإسلامية [2].

[1] - عمار طالبي ، أثار ابن باديس، ط1، دار و مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف و الترجمة و الترجمة و للطباعة و النشر، 1968، ص367.

[2] - المرجع نفسه، ص 368.

من الناحية السلبية:

البعد الاجتماعي:

1- **تفريق الأمة:** يقول عبد الحميد بن باديس[1]: بالرغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية فقد عكرتها البلايا و المحن حتى استخذت و ذلت ،وسكنت على الضيم و رضيت للهوان وبالرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها الطرقية المحركة تفريقا و تشتيتا حتى تركتها اشلاءا لا شعور لها ببعضها ولا نفع وقد قدم لنا ابن باديس نموذجا واقعيا عن هذا التفرق فيحدثنا عن الطريقتين التيجانية و القادرية اللتين شطرتا أهل سوف إلى شطرين إذ باغت العداوة بينهما مبلغا حتى انعدمت المصاهرات بينهما أو كادت ،و في بلدة الرقيبة مثلا مسجد قسم بشطرين و ضرب فيه حائط بين المصلين هذا و أكثر من هذا يقع ،و شيوخهم يرون ذلك و لا يغيرونه ،بل يؤكدونه بما يبثونه من الدعاوى المتعالية في فضائل طريقتهم ،و ما تتضمنه تلك الدعاوى من الحط من الفريق الأخر و زيغه و ضلاله فيزداد أولئك الأتباع الجهالة المغرورين المخدوعين غلوا في طريقتهم و مقتا للطريقة الأخرى و يزداد الجفاء و القطيعة.

2- استغلال الأمة: أما استغلال الطرقيين و المرابطين للعامة[2] فقد شمل الأبدان و الجيوب وكل ما ملكت أيديها ولوكان قوت يومها فحق الشيخ قبل حق الزوجة والأولاد و الآباء و الأجداد وحق الشيخ في المال حق الفقير و المسكين،ففي مجال استغلال الأبدان بالخدمة والسخوة يقول الإبراهيمي عن تلك التنقيحات التي ادخلها ابن عليوة و أتباعه عن الطريقة.

[1] – عمار طالبي ، المرجع السابق، ص 370.

[2] – محمود قاسم ،المرجع السابق، ص28.

فيقول:[1] " و كان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراتب التربية الخلوية لمعرفة الله بثلاثة أيام فقط لا غير ،تتبعها أشهر و أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الأشجار و رعي الغنم و حصاد الزرع"، أما في مجال استلاب الأموال يصفهم الإبراهيمي بأنهم لصوص يأخذون أموال الناس بما يشبه الرضى، و أنهم أقبح من اللص العادي لأنهم يتلصصون باسم الدين أما ابن باديس فانه يصف استغلال شيوخ الطرق للعامة و للفقراء.

فيقول[2]: " أن بعض المأمورين من بعض شيوخ الطوائف يأتون بثلة من أتباعهم فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس ،فيذبح لهم العناق إن كانت و يستدين لشرائها إن لم تكن موجودة ويفرغ المزاود و يكنس لهم ما في البيت و يصبح معدما فقيرا مدينا... و شر ما في هذا الشر انه يرتكب هذا باسم الدين ويحسبه الجهالة انه قرب لرب العالمين".

و استسلم في القرن العشرين معظم زعماء و شيوخ الطرق الصوفية للإدارة الاستعمارية بعد أن أصابهم العياء و الوهن و التعب و تعاونوا معها و خدموها لأسباب و دوافع مختلفة و متنوعة : البعض للتقية و البعض للحصول على الجاه أو المنصب أو السلطة و النفوذ و هناك من التزم الحياد تماما و ابتعد عن السياسة ليتمكن من مواصلة النشاط الديني و الثقافي و التربوي و قد وقفوا ضد حركة الإصلاح كذلك مثل الطريقة التيجانية و العلوية[3].

[1] – نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص 91.

[2] – عمار طالبي ، المرجع السابق، ص372.

[3] – المرجع نفسه، ص373.

الجانب الديني:

1-**التزهيد في القران:** و في تعليل لهجر المسلمين للقران يقول الإبراهيمي[1]: " إن اعضم مصيبة أصابت المسلمين و هي جفاؤهم للقران والحرمان من هديه و آدابه ، متشوها من الطرق الصوفية فهي التي غشيتهم بهذه الروح الخبيثة روح التزهيد في القرآن،ثم اخذ في بيان كيف زهدت الطرق الصوفية المسلمين في القران الكريم، لقد صرف شيوخ الطرق الناس عن فوائد القران و خيراته و بركاته بما ابتدعوه من أوراد وما اخترعوه من رسوم و ما أضافوه إليها من تلك الفوائد و الخيرات و البركات وقد كانت نتيجة هذا الصد عن القرآن و هذا التعطيل له بذلك التضليل هو خلو النفوس من ذلك الحارس اليقظ الذي حرر السلف الصالح من العبودية للأوثان الحجرية و البشرية و صارت الأمة الإسلامية بغير هداية القرآن."

2- **الشرك و مظاهره:** يدخل الشرك في هذه الأمة الإسلامية في أمور كثيرة يمكن أن نذكر منها:

- **الدعاء و التوسل و الشفاعة:** إن من أقسام الدعاء التي يدخل فيها الشرك دعاء غير الله و له نوعان: احدهما دعاء غير الله مع الله كالذي يقول"يا ربي و يا شيخي،يا ربي يا جدي ،يا الله و ناسه ،يا الله و يا سيدي عبد القادر. و النوع الثاني دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول يا رجال الدالة ،يا ديوان الصالحين.[2].. و يرى ابن باديس[3] انه من دعا غير الله فقد عبده

- **زيارة القبور و المزارات :** فزيارة القبور المأذون فيها هي التي تكون على وجه شرعي من غير شد الرحال ،فيزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما وأقاربه و معارفه خصوصا[4].

---

[1] – احمد طالب الإبراهيمي، أثار البشير الإبراهيمي، المصدر السابق ، ص149.

[2] – محمد مبارك الميلي ، رسالة الشرك و مظاهره، تح،تع:أبي عبد الرحمان محمود ، ط1، دار الراية ، المملكة العربية السعودية، 2001، ص316.

[3] – محمد طهارى ، المرجع السابق، ص 13.

[4] – محمد مبارك الميلي ، المصدر نفسه ، ص340.

و أما الزيارة البدعية فهي ما كانت شبيهة بزيارة المشركين و أهل البدع لدعاء الموتى و طلب الحاجات منهم أو لاعتقاد أن الدعاء عند قبر احدهم أفضل من الدعاء في المساجد و البيوت و أما المزارات فهي مواضع و بناءات تزار للتبرك بمن جلس فيها من الصالحين أو دفن عندها أو سميت به[1] .

النذر: للنذر معنيان احدهما إيجاب الشيء على النفس مطلقا و الثاني وعد بشرط و هذا المعنى الثاني هو الذي يمونه المحدثون نذر المجازات و الفقهاء النذر المعلق و تسميه العامة في الجزائر الوعدة، و قد شاع في المجتمع الجزائري و ثنية مؤادها أن من ذبح دجاجة سوداء في اليوم المعين فانه يرزق ذرية و من ذبح تيس في موسم سيدي فلان فانه ينال مالا ، و من اشترى في وعدة الولي الفلاني شمعة فانه ينال كل مرغوبة ، لذلك غشيت الدين غاشية منكرة من الأباطيل و أصبح دين عامة الجزائريين و إن كان متينا مغلولا بهذه البدعة و الأضاليل التي يحرص الكثير من رجال الطرق و الزوايا على إبقاءها و غرسها في القلوب لاستثماراتها و الانتفاع بها [2].

اليمين: شاع في المجتمع الجزائري الحلف بشيوخ الزوايا و المرابطين فيقول محمد مبارك الميلي "أما حالة العوام في إيمانهم فأنهم لم يطمئنوا إلا للحلف بأوليائهم ، فيحلفون بالله كاذبين في استخفاف وعدم مبالاة و لا يقنعون بمن حلف لهم بالله و لا يكتفون بها و لا يقدمون على الحلف بمرابطيهم و شيوخ طرقهم كذبا و لا يكذبون من حلف بهم [3].

[1]– محمد مبارك الميلي ، رسالة الشرك و مظاهره ، المصدر السابق ، ص354.

[2] – احمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر، د.ط، المطبعة العربية ، د.م.ن، د.ت ، ص376 .

[3] – محمد طهارى، المرجع السابق، ص25.

البعد الثقافي:

تبيت الآثار السلبية للطرق الصوفية في المجال الثقافي من وجهة نظر اثر جمعية العلماء المسلمين في تكريس الجمود و التخلف فمن مآدب المريد أن التفكير و التساؤل و الاستدلال كلها أمور محرمة عليه في تعامله مع الشيخ و أن على المريد أن يخرج عن علمه و يكتفي بعلم شيخه و يستغني عن سواه و أن يعتقد أن خطا أفضل من صوابه هو، إلى غير ذلك من الآداب التي تعبر عن نزعة التسليم التي انتقلت من مجالس شيوخ الطرق و زواياهم إلى مجالس العلم و سيطرت عليها و فتكت بعقول المعلمين و المتعلمين و كان من أثارها هذا الارتخاء الذي نشاهده في ملكاتنا العلمية و هذا الفتور المستحكم الذي أدى إلى انحطاط و تدني في العلم[1].

فابن باديس[2] فانه يصف الحالة العلمية خلال فترة الاستعمار" بان العلوم في الجزائر منها علوم تؤخذ باللسان العربي و هي علوم الدين واللسان و منها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي و هي علوم الأكوان و العمران ، و قد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام ، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه و ضلال فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا و أولئك يعتبرون هؤلاء كفارا "

طالما أن الذين يزاولون علوم الدين و اللسان همهم العكوف على كتب الشيوخ المتقدمين و النقل عنهم دون تذكير أو انتقاد مع الغفلة والأعراض عن التدبير في سنه الله في الأنفس و الكون ، بينما الآخرون شانهم النفور من البدع والخرافات و الإيمان بالقوانين العلمية و السنن الكونية و ماتقرره العقول السليمة و قد ذكر ألميلي أن الطرقيين يعتمدون في دينهم على الخرافات و المنامات و مايربي هيبتهم في قلوب مريديهم من حكايات[3] .

[1] – محمد طهارى ، المرجع السابق ، ص26.

[2] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،المرجع السابق، ص230.

[3] – احمد توفيق المدني ، المصدر السابق ، ص 380.

و لا يتصلون بالعلماء إلا بمن أعانهم على الرد على المرشدين النصحاء بتأويل ما هو حجة عليهم و تصحيح الحديث الموضوع إذا كان حجة لهم[1] .

[1] – محمود قاسم، ، المرجع السابق ، ص35.

المطلب الثالث: علاقة جمعية العلماء بالطرق الصوفية و الزوايا

إذا كان الاختلاف في الرأي اشد ما يكون حول المتصوفين من يمدح التصوف و يدعو إليه وبين من ينبذه و ينفر منه ، فان الطرق الصوفية في الغالب ليست موضوع جدل ، إذ جل الحركات الإصلاحية و الدعوات التجديدية في العالم الإسلامي تتفق على نبذ انحرافات الطرق، و اشد هذه الحركات الإصلاحية التي كانت حربا على مفاسد الطرقية هي الحركة الوهابية ثم الحركة الإصلاحية الجزائرية[1].

إن الطريقة الصوفية تضع للمريدين منهجا في التدين ،هو ما تثبته جميع الطرق الصوفية وتفتخر به ،لكنها تنسبه إلى الدين وتشبه طرقها بالشرع الإسلامي الخاتم ،وهذه الحقيقة هي التي انتزعها علماء الجمعية من الطرقيين فقد أشار الإبراهيمي إلى ذلك ،في سياق بيان مراتب النقد التي تم بها الكشف عن ضلال الطرق

فقال:[2] " وذلك أننا لما أنكرنا عليهم باطلهم الذي يرتكبونه باسم الدين ،زعموا أن الطريق هي الدين ،و لما نقضنا لهم هذه الدعوة تنزلوا فزعموا أن لها حبلا واصلا بالدين وسند بالسلف ،ولما بينا لهم أن الحبل مقطوع وان السند منقطع قال وان هذه الطرقية مرت عليها قرون ولم ينكرها العلماء ،فبينا لهم أن عدم إنكار العلماء الباطل لا يصيره حقا و مرور الزمن عليه ليصيره حقا".

[1] – نور الدين أبو لحية ، المرجع السابق، 120.

[2] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المصدر السابق ، ص36.

أما الإبراهيمي الذي يرفض التصوف فقد اعتبر الطرق مبتدعة في الإسلام و تحدث في سياق رده على الذين أنكروا على جمعية العلماء، اعتراضها على الطرق الصوفية و شيوخها المحدثين و القدماء عن الميزان الذي توزن به الأعمال فقال[1]: " و نحن إذ ننكر الفاسد من الأعمال، و الباطل من العقائد، سواء علينا أصدرت من سابق أم لاحق و من حي أم من ميت ، لان الحكم على الأعمال لا على العاملين، و ليس صدور العمل الفاسد من سابق بالذي يحدث له حرمة أو يصيره حجة على اللاحقين ، بل الحجة لكتاب الله و لسنة رسوله ، فلا حق في الإسلام إلا ما قام دليله منهما و اتضح سبيله من عمل الصحابة و التابعين لهما أو إجماع العلماء بشرطه على ما يستند عليه كما جمع ابن باديس جملة من نصوص العلماء المتقدمين في الإنكار على المدعين المتعيشين على بدع ، قامعا لشبهة المتأخرين في عدم إنكار العلماء المتقدمين على أمثالهم من المتسمين بالفقراء المدعين لطريقة الزهد المتصفين بالبدعة".

[1]– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص37.

و في ذكر نصوص من حكم ببديعة الطريقة الصوفية بما يأتي قال صاحب منشور الهداية [1]: " فلما رأيت الزمان بأهله تعثر و سفاء النجاة من أمواج البدع تتكسر، و سحائب الجهل قد أضلت و أسواق العلم قد كسدت ، فصار الجاهل رئيسا و العالم في منزلة يدعى من اجلها خسيسا ، و صاحب أهل الطريقة قد أصبح و أعلام الزندقة على رأسه لائحة ، و روايح السلب والطرد من المولى عليه فائحة و ربما صارت الطائفة البديعية مقطعا للحقوق و قسما يقسم به في البر والعقوق."

ويعتبر المصلحون أن الطرق الصوفية هي بدعة لم يعرفها السلف،و مبناها كلها على الغلو في الشيخ، و التحيز لأتباع الشيخ، و خدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال، و من تجميد للعقول، و اماهة للهمم و قتل للشعور[2].

و إن هذه الطرق برأيهم، أدت، ببنيتها و سلوكها، إلى إحداث وثنية في الإسلام لإتباعها طقوسا خاصة بعيدة عن أصالة الدين الصحيح، مثل الخلوة و التوسل و البركة، و يهاجم البشير الإبراهيمي هذه الطقوس التعبدية بقوله [3]: " القوم عارفون بالله، و إن لم يدخلوا كتابا، و لم يقرؤا كتابا، و كل من ينتسب إليهم عارف بالله بمجرد الانتساب أو بمجرد اللحظة من شيخه، و قد كان قدماؤهم يتخذون من مراحل التربية مدارج للوصول إلى معرفة الله في ما يزعمون ، و في ذلك تطويل للمسافة ، و إشعار بان المطلوب شاق ، جاء الدجال ابن عليوة و إتباعه بالخاطئة فادخلوا تنقيحات على الطريق ، و من تنقيحاتهم تحديد مراحل التربية الخلوية لمعرفة الله بثلاثة أيام فقط لا غير تتبعها أشهر و أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر، و رعي البقر، و حصاد الزرع، و بناء الدور، مع الاعتراف باسم الفقير، والاقتصار على أكل الشعير، و لئن سألتهم لم نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام ليقولن فعلنا ذلك مراعاة

[1] – عبد الكريم الفكون، تق،تح،تع: أبو قاسم سعد الله، منشورا لهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987م. ص31.

[2] – المصدر نفسه، ص32.

[3] – احمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص 351.

لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء ، فقل لهم قاتلكم الله، و لم نقصتهم مدة الخلوة و لم تنقصوا مدة الخدمة أيها الدجاجلة .[1] "

أما التوسل فقد اعتبره، العلماء شركا بالله، و نددوا بمن يدعي انه يملك قدرات خاصة فيتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي، و هو الذي يمنع ، و هو الذي يقبض ، و هو الذي يبسط ، هو منبع كل خير و مصدر كل شر و في ذلك يقول بن باديس[2]: " و احذروا كل من يريد أن يقف بينك و بين ربك، و يسيطر على عقلك و قلبك و جسمك و مالك بقوة يزعم التصرف بها في الكون و يتهم العلماء الطرق بأنها خرجت في دعوتها الصوفية عن الدين الإسلام."

عندما ادعت الطريقة التيجانية على لسان مؤسسها احمد التيجاني المولود سنة 1150هـ بان النبي أمره بتلاوة الصلاة التالية:[3] " اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، الناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و هي المسماة صلاة" الفاتح"عند التيجانية ، و يدعي التيجاني بان النبي اخبره بان تلاوة المرة الواحدة منها تعدل من القران ست مرات و تعدل من كل تسبيح وقع في الكون و من كل ذكر و من كل دعاء كبير أو صغير ، و من القران ست آلاف مرة و يدعى التيجاني أيضا بشان فضائل "صلاة الفاتح" [4]:" بان الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة، كل غزوة تعدل أربعمائة حجة و انه يحصل له بفضلها إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن و انس و ملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذكر بها ، أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموما ملكا و جنا و إنسا."

[1] – احمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص351.

[2] – المصدر نفسه، ص 352.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ص26.

[4] – المصدر نفسه ، ص27.

و يرد ابن باديس على هذا الادعاء بقوله[1] : " أن صلاة الفاتح من كلام المخلوق، و من اعتقد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر"، و يستدل على ذلك بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية.

أن جمعية العلماء في مقاومتها لمفاسد و ضلالات الطرقيين لم تحارب إلا أعداء الأمة المستغلين للعامة المتعاونين مع الاستعمار ، فقد سعت جاهدة لتخليص الأمة الجزائرية من سلطانها و لم تحارب الزوايا كقواعد للطرق الصوفية، فعلى من انحراف كثير من الزوايا في عهد الجهل و الاستعمار حتى صارت أوكار للضلال و الفساد ، و على الرغم من أن الاستعمار قد شل اغلب حركة الزوايا الصالة التي أبت أن تسير في ركبه إلا أن حقيقة الزوايا في المغرب العربي هي أنها مؤسسات دينية و ثقافية و اجتماعية، لعبت أدوارا هامة و مشرفة في فترات مختلفة من تاريخ المنطقة و نقصد بذلك زوايا العلم و القران و الجهاد إن هذه الزوايا الصالحة.[2]

لما تقوم به من وظائف متنوعة تعد أكثر من حاجة في القرى و الأرياف إن وجودها ضرورة اجتماعية حيث تزداد الحاجة إلى نشر العلم و التعاون على العمل و التكافل الاجتماعي ، فهي عبارة عن بنى اجتماعية تستقطب نشاطات الإفراد من اجل دمجهم في كل منظم يعمل فيه الفرد للمجموع و يتكفل المجموع فيه بحاجات الفرد، و هي تعكس بوضوح روح جماعية مستلهمة من الدين و الإخوة الإسلامية و من العلاقات الاجتماعية القبلية شرعيتها و استمراريتها و إن ابتعاد الجمعية عن الميل إلى هدم الزوايا المنحرفة و الأماكن المتبرك بها كالأضرحة و المزارات خاصية الاعتدال في حركات الإصلاح، فقد كان صراع الجمعية مع الطرقية مقارعة بالحجة و جدالا بالحسنى و لم يكن مواجهة بالأجساد[3].

[1] – احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص113.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 78.

[3] – المصدر نفسه ، ص25.

إن نجاح الجمعية يرجع أيضا إلى أنها اختارت الحركة على خط الدعوة و المجتمع وهي حركة نحو العمق و الشمول و الرسوخ ،بخلاف الحركة نحو السلطة على حساب المجتمع و الدعوة فإنها حركة أفاقية آنية لا مستقبل لها.[1]

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق ، ص27.

خلاصة الفصل :

من خلال ما سبق ذكره نجد أن الحركة الإصلاحية في الجزائر قد لعبت دورا مهما في بعث الروح الوطنية و الحفاظ على عناصر الهوية الجزائرية، و قد ساهمت شخصيات جزائرية كثيرة بارزة في نشرا فكار هته الحركة التي كانت تنادي بالمحافظة على مقومات الأمة ،كما أن الإصلاح وجد في لحركة الإصلاحية المناخ المناسب الذي يعد به و يعينه على الانتشار في الأوساط الاجتماعية سما بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتشرت هذه الحركة التي تبنتها جمعية العلماء و نقلتها عبر تلاميذها من كل أنحاء الجزائر للتخلص من الاستعمار الفرنسي الذي كان يستغل جهلهم و أميتهم.

كما نجد أن جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تكلم و تدعوا إلى العلم و ترغب فيه و تعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر و هي بالصفة الثانية تعلم الدين و العربية لأنهما شيئان متلازمان و تدعوا إليهما و ترغب فيهما.

تأسست جمعية العلماء المسلمين بفضل جهود رجال الإصلاح الذين سعوا إلى نشر الحركة الإصلاحية في أنحاء الوطن، و ذلك من خلل نشرهم للجرائد و المجالات و بالتالي فالجمعية هي أداة من أدوات الخير و الصلاح.

فقد تعددت الطرق الصوفية في الجزائر مع دخول التصوف وتفاوتت هذه الطرق من حيث الأهمية و الظهور، إذ هناك طرق قديمة الظهور و أخرى حديثة، كذلك نجد طرق أصيلة ظهرت في الجزائر و تفرعت فيها.

و قد كان لهذه الطرق دورا كبيرا في إرساء معالم الإسلام في المجتمع الجزائري و عملت على نشر الدين الإسلامي في مناطق عديدة في العالم، و احتضنت اللغة العربية الإسلامية و قامت بتعليمها للأجيال خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي الذي حارب اللغة العربية و التنكيل بمعلميها.

و ساهمت في مقاومة الاستعمار بالسلاح و خير مثال على ذلك تلك الثورات الشعبية التي قادها شيوخ الزوايا و الطرقيون ،كما كانت الزوايا ملجأ لطلاب العلم و المسافرين، و نظرا للدور التي كانت تقوم به الطرق جعلت المستعمر يبحث جاهدا من اجل استمالتهم إليه ،و بين القوة و التنكيل من جهة و الاغرات من جهة أخرى و استطاع استمالة بعض الطرق في صفه.

و هذه من الصفات التي انتقدت فيها الطرق، إضافة إلى تلك الخرافات و البدع التي من المجتمع الجزائري ،خاصة بعد و فات مؤسسو هذه الطرق و تشيخها خلفهم الذين لم يكونوا على قدر المسؤولية، ولم يواكبوا العصر و التطور الذي وصل إليه العالم ،و اكتفوا بمؤلفات أشياخهم،فساد الخمول في الوسط الاجتماعي الجزائري ،و انتشرت البدع و الخرافات ،هذا ما أثار خفيضة علماء الجزائر،واتفقوا على إنشاء جمعية العلماء المسلمين المناهضة لهذا التخلف، و المطالبة بالإصلاح و النهوض بالمجتمع الجزائري إلى ما هو أفضل،منتقدتا تلك الأفكار الصوفية هذا ما أدى لدخول الطرفين في علاقة غلب عليها التوتر و التنافر ،و قل فيها التفاهم و الاتفاق.

كما نجد أن الطرق الصوفية اتبعت أساليب و مناهج عتيقة و مختلفة تجاوزها الزمن خاصة في الحقبة الاستعمارية ،و عليه نجد أن الطرق الصوفية ظاهرة دينية مستوحاة من الزهد و الورع و قد انتشرت في العالم الإسلامي عامة في الجزائر خاصة و هناك مجموعة كبيرة من الطرق الصوفية داخل القطر الوطني ومن أشهرها : القادرية ، التيجانية ، الرحمانية و غيرها ، وعليه نجد أن تلك الطرق رغم بعض السلبيات أدت دورا تاريخيا في الماضي خاصة أيام المحن الاستعمارية الأوربية المظلمة .

و في النهاية يمكن القول أن كل من جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية لعبت دورا ايجابيا في تاريخ الجزائر في سبيل استرجاع السيادة الوطنية و أن الجمعية قد أحيت الجزائر و بعثت فيها غريبتها التي كادت أن تغيب و إسلامه الذي كاد أن يقضي عليه.

الفصـــل الثـانـــــى

مسار الجهاد السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول : إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي و الثوري

المبحث الثاني: موقف الجمعية من اندلاع الثورة التحريرية 1954م

المبحث الثالث : دور جمعية العلماء في تطور الثورة التحريرية داخلي

لقد كان العلماء ثوريون من حيث الأهداف ، أما في الوسائل فلا يستخدمون إلا بعقلية الاستعمار و لهذا انصرفت الجمعية في نشاطها الدعوي إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية و الوطنية عن طريق الاهتمام بالمدارس و التدريس الديني و العام مدركة حاجة السياسية و القتال إلى سبيل مختلف في التعبئة ، لئن حاولت الجمعية الابتعاد عن السياسة ولو على مستوى قانونها الأساسي إلا أن لا يمكن أن تظل في ظل الاستعمار الغاشم ، منكمشة في إطار ديني محض بعيدة عن الجماهير و مطامحها لا سيما و أنها التنظيم الوطني المسموح له قانونيا بمزاولة نشاطه في البلاد و يتوفر لديه جهاز يمكنه من الاتصال بأوسع قاعدة شعبية[1] .

فالحقيقة هي أن جمعية العلماء اهتمت بالميدان السياسي كما يقول الإبراهيمي[2]: " باب السياسة، لان ديننا يعد السياسة جزءا من العقيدة ، ولأنها نوع من الجهاد ، و نحن مجاهدون بالطبيعة ، فنحن سياسيون بالطبيعة"، من اجل ذلك أسهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الأنشطة السياسية الجادة ، بل كان لها و لرئيسها الدور الريادي و الرئيسي في بعضها .

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة(1954–1964)، جع. تص: أبو قاسم سعد الله، شركة دار الأمة ،الجزائر، ط1، 1994، ص22.

[2]– المصدر نفسه، ص 25.

المبحث الأول : إسهامات جمعية العلماء في العمل السياسي و الثوري

رغم تركيز جمعية العلماء المسلمين على نشاط التربية و التعليم و الاهتمام بأمور الدين الإسلامي ، إلا أنها لم تكن بعيدة عن النشاط السياسي باعتبارها جزءا من الحركة الوطنية ، كما أنها شاركت في بعض النشاطات السياسية على غرار مشاركتها في فعاليات المؤتمر الإسلامي في سنة 1936 م و التي سنركز عليها لأنها تعتبر تحولا كبيرا في مسار الحركة الوطنية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين معها و غيرها من الفعاليات التي كانت تهدف من خلالها إلى تخفيف الضغط على الشعب الجزائري و تحسين حالته الاقتصادية و الاجتماعية[1].

و كذالك رفع الغبن و القيود على التعليم العربي الحر الذي كان بداية المشروع الثوري عند ابن باديس و جمعية العلماء ،كما سنرى في دراستنا للفكر الثوري عند ابن باديس و رغم أنها كانت ترى هذه الأحزاب تبحث عن مصالحها الخاصة ، و من الممكن أن تعرقل وحدة الشعب و تطوره و كانت الجمعية كثيرا ما تطالب بتأسيس حركة سياسية جزائرية على أساس شعبي و ليس على أساس حزبي إلا أن ذلك لم يحل دون وجود اتصالات و مشاركات معها في بعض النشاطات السياسية و النضالية[2] .

المطلب الأول : مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي 1936م

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائر الذي انعقد بالعاصمة في السابع جوان 1936م أول تجمع من نوعه في الجزائر ، فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمعا تشترك فيه كل الاتجاهات و تمثل فيه مختلف الطبقات و تبرز خلاله وحدة الصف و الكلمة على المطالب معينة مثل ما حدث في المؤتمر المذكور[3] .

---

[1]– أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ص 145.

[2]– أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج3، ص 146.

[3]– المرجع نفسه، ص 151.

حيث كانت ردود الفعل على الاحتفال المئوي سنة 1930 م متبوعة و لكنها لم تؤدي إلى تجمع شغبي واسع النطاق ، و ظلت مقصورة على مقالات الصحف و أحاديث المجالس الخاصة و لعل أول تجمع بالصفة التي نقصدها كان تأسيس جمعية العلماء 1931 م فقد كان ذلك مناسبة اجتمع فيها عدد كبير من الأشخاص من مختلف التيارات الدينية و لكن الهدف كما كان لا يمثل جمع التيارات الاجتماعية و السياسية في البلاد ، أما المؤتمر فقد كان يختلف عن جميع تلك المحاولات [1].

و مهما يكن من أمر فان فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري تنسب إلى الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ففي حديث له إلى صحيفة " **الدفاع**" التي كان يديرها السيد الأمين العمودي بالفرنسية و التي كانت لسان الحركة الإصلاحية دعا ابن باديس إلى اجتماع جميع الأحزاب الجزائرية في مؤتمر إسلامي أو " **جبهة وطنية** " لوضع قائمة من المطالب التي يطلبها الجزائريون من فرنسا و كان تاريخ هذه الدعوة هو 3 جانفي 1936م[2] .

وقد علق احد الجزائريين على ذلك بان لابن باديس أراء بعيدة النظر في السياسة الجزائرية تقوم على أن [3] " المرجع في مسائل الأمة و الواسطة لذلك هي المؤتمرات ، فان ابن باديس إذا هو أول من فكر في عقد المؤتمر قبل فوز الجبهة الشيعية بأشهر " و يفهم من هذه العبارة الأخيرة أن المؤتمر كان سينعقد حتى ولو لم تتولى الجبهة الشيعية الحكم في فرنسا، كما يفهم منه أن ابن باديس لم يطرح موضوع المؤتمر بدافع من الجو الجديد الذي ساعدت عليه الجبهة بل انه فعل ذلك أيام كان قرار" **رنيه** " ما يزال كالسيف المسلط على الحريات المدنية ، غير أن فرحات عباس يذكر أن المؤتمر الإسلامي قد انعقد كعلامة على الفرحة بقيام الجبهة الشيعية في فرنسا ، و إن كتلة النواب المنتخبين هي من ولدت هذا المؤتمر و لكن الإبراهيمي صاحب

[1]– أبو فاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص152 .

[2]– عمار بوحوش ، المصدر السابق، ص. 259

[3]– المرجع نفسه، ص150.

الرأي السابق احتاط للأمر فذكر انه لولا الجبهة الشيعية ما كان للمؤتمر أن ينجح رغم اقتناعه بصواب رأي ابن باديس[1] .

في حين انطلقت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي من قسنطينة و من ابن باديس باعتباره رئيسا لجمعية العلماء و محمد الصالح بن جلول رئيس كتلة النواب بها ، و يصر أنصار هذا الرأي على أن الشعب الجزائري كان قد استجاب لدعوة الرجلين لأنهما تمثلا اتجاهين يثق فيهما ثقة واسعة الحدود فجمعية العلماء علمته المطالبة بحقه و الاستجابة لدعوة الق و كتلة النواب علمته معنى النيابة و إذا صدقنا هذا الرأي فان الذين يقولون أن العلماء قد شاركوا بأشخاصهم فقط في المؤتمر هو رأي قابل للنقاش[2] .

لقد شاركت في المؤتمر الإسلامي إذن كل التيارات السياسية و الاجتماعية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار" **النواب و العلماء و الشبان ، الاشتراكيون ، الشيوعيون ،المرابطون** " ،باستثناء النجم الذي كان ما يزال إلى ذلك الحين في فرنسا مقرا و نشاطا ، و قد جمع المؤتمر لذلك كثيرا من المتناقضات لا في التخطيط فقط و لكن في الأهداف الإستراتيجية أيضا ، فالذي كان يهم النواب و النخبة هو مشروع "**فيوليت**" الذي وضع الحقيقة من اجلها ، و كان العلماء مشاركين بنصف حماس و بطريقة غامضة و كانت مطالبهم منحصرة في تحرير الدين الإسلامي من سيطرة الدولة الفرنسية و تعميم التعليم العربي الحر بواسطة أبناء الشعب أنفسهم [3]، أما الشيوعيون و الاشتراكيون فكان يهمهم بالدرجة الأولى جمع قوى الشعب الجزائري وراء الجبهة الشيعية التي كانوا مشتركين فيها و التي جعلت من شعاراتها محاربة الاضطهاد و الظلم في المستعمرات لذلك كانت صياغة قائمة موحدة من المطالب أمرا عسيرا[4] .

---

[1]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص151.

[2]– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج3 ، المرجع السابق، ص153.

[3]– محمد مبارك الميلي ، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار الهومة ، الجزائر، 2007، ص 227.

[4]– أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص157.

و رغم الحماس للمؤتمر و اعتباره من الأحداث البارزة في تاريخ الجزائر فان قراراته كانت متواضعة و يمكن تلخيصها فيما يلي [1]:

- ثقة المؤتمرين في حكومة الجبهة الشيعية .
- إلغاء جميع القوانين الاستثنائية .
- منح المسلمين جميع الحقوق التي للفرنسيين مع التمتع الكامل بالميزات الإسلامية و إدخال إصلاحات عليها .
- منح الجزائريين حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي .
- انتخابات مشتركة بين المسلمين و الفرنسيين (يعني هذا الإلغاء النظام الثنائي في الانتخابات) و التأكيد على المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية
- تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر .

بالإضافة إلى ذلك قدم الشيخ ابن باديس نقطتين تتضمنان مطالب العلماء و قد وافق عليهما المؤتمر أيضا بالإجماع و ضمتا إلى ميثاق طرابلس و هما [2]:

- اعتبار اللغة العربية كالفرنسية لغة رسمية على أن تكتب بها جميع المناثير الرسمية و تعامل صحافتها كالصحافة الفرنسية مع إعطاء الحرية لتعليمها في الدارس الحرة.
- تسليم المساجد إلى المسلمين و تخصيص ميزانية لها على أن تتولى جمعيات دينية أمرها مؤسسة حسب قانون فصل الدين عن الدولة ، و تأسيس كلية لتعليم الدين و لسانه العربي لتخريج موظفي المساجد و تنظيم القضاء على يد الهيئة الإسلامية تنتخب بإشراف الجمعيات الدينية المذكورة و إدخال إصلاحات على مدارس تخريج رجال القضاء [3].

[1]– محمد مبارك الميلي ، المؤتمر الإسلامي الجزائري،المصدر السابق ، ص 228.

[2]– المصدر نفسه، ص 229.

[3]– مجلة الشهاب ، ج12، مج11، مارس 1936م، ص 211.

و قدم ابن باديس النقطتين السابقتين "اللغة و الدين " باسم العلماء و لكنه قدم قائمة أخرى باسمه الشخصي لا تخرج في أساسها عن مطالب النواب و الشبان السابقة أيضا، منها إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائريين " الانديجينا " و المجالس العسكرية ، و تسوية النواب الجزائريين بنواب الفرنسيين في جميع المجالس و توحيد النيابة البرلمانية بكلى المجلسين (مجلس جزائري و مجلس المعمرين)، و المساواة في الحقوق و الواجبات[1] .

و كان ابن باديس الشخصية الرئيسية في المؤتمر رغم انه لم يضع نفسه في الصدارة فهو الذي دعا إليه من البداية و هو الذي كان موضع ثقة الجميع مهما اختلفت اتجاهاتهم و هو الذي كان يقترح عليهم الإيماء لمهام معينة فيقبلون عن رضا ، و قد طلبوا منه عدة مرات أن يقدم إليهم اقتراحات العلماء بشان الإصلاح الديني و الثقافي فلم يتردد أن يقدم إليهم ما اعتبره باسم الجمعية و ما رأى أن يتحمل مسؤوليته بنفسه ، و عندما كان في باريس لم يتردد ابن باديس في أن يتصل بزعماء النجم هناك رغم مخالفة زملائه له حتى قيل انه غير رأيه في بعض النقط[2] .

و كان الوعي بهذه الحقيقة قد جعل أعضاء الحركة الباديسية يرون انه ليس من المنطق الوقوف موقف المتفرج أمام ما تضطرب به الأجواء السياسية من غيوم محملة بالمجهول ، كما انه ليس من الطبيعي أن يتم التحاور في شؤون الأمة بين المحتل و بين النخبة و هم أقلية في غياب أعضاء الجمعية يشعرون أن ضخامة الواجب و عظمة المسؤولية التاريخية و حسن التعامل مع الأحداث ، إن هذا كله يفرض عليهم الدخول إلى هذا المعترك[3].

[1]– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج3، المرجع السابق، ص 158.

[2]– المرجع نفسه، ص 161.

[3]– المرجع نفسه، ص 163.

فهذه القناعة من ابرز العوامل التي دفعت بالشيخ ابن باديس إلى المشاركة في هذا المؤتمر تحسيسا للأمة لما يحايك ضد شخصيتها من مكائد وحرصا على جمع كلمتها و توحيدا لقواها الفاعلة في الساحة السياسية بهدف مواجهة مؤامرة الاندماج و المحافظة على الذاتية بموقف و رأي واحد و سعيا للحوار لا لمجرد الحوار و إنما من اجل كسر ما اصطنعه (الأنانيون و الانتفاعيون) بمساعدة حكام الولاية العامة من حواجز للحيلولة بين الجزائر و بين إيصال صوتها لمطالبة بحقوقها إلى السلطة العليا في باريس [1].

و سبق أن نادى ابن باديس بتكسير هذه الموانع منذ وقت مبكر في تعليقه على خطاب وزير الداخلية الفرنسي 1926م و ها هو ذا يعود ثانية ليؤكد على ذالك بعد عشر سنوات : " إننا لا نزال رغم القرن مجهولين عند الأمة الفرنسية ، مجهولة مقاصدنا الشريفة السليمة المتركزة على روح الحق و الإخاء و الإخلاص ، فنريد أن تعرفنا وجها لوجه و تفهمنا فهما يقطع لسان كل افاك أثيم "، و إن ابن باديس بمشاركته في هذا المؤتمر و دخوله بقوة معترك السياسة عبر منبره لم يتخلى بذلك عن منهجه الإصلاحي و إنما رأى أن المصلحة العليا للأمة كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين تقتضي في هذه المرحلة أن يزاوج بين هذا المنهج و بين المنهج السياسي في وقت واحد و كانت مشاركته هذه المساهمة ظرفية و إضافة ضرورية اقتضاها الصلح العام ، و لم تكن من شانها أن تعرقل في عملية مواصلة جهاده في بقية أهداف مشروعه الأخرى الدينية و الاجتماعية و غيرها التي أوقف حياته عليها و ما استطاع أن يشغله عن النهوض بها [2].

[1]– أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج3، المرجع السابق، ص 164.

[2]– محمد مبارك الميلي ، المؤتمر الإسلامي الجزائري ، المصدر السابق، ص230.

يقول الأستاذ الهادي الحسيني في معرض تقديمه لآثار الإبراهيمي [1]: " إن المدرك لروح فلسفة جمعية العلماء العارف بمنطقاتها الفكرية ، العالم بمقاصدها ، المطلع على أدبياتها يستيقن إن إسهام العلماء في هذا المؤتمر لم يكن إلا موقفا مرحليا ، هدف من ورائه في حال استجابة فرنسا لمطالب المؤتمر إلى تخفيف الضغط عن الشعب الجزائري و تحسين حالته الاقتصادية المتردية و أوضاعه الاجتماعية المأسوية ، و رفع القيود عن التعليم العربي و ينل نصيب من تثبيت أسس مشروعهم الحضاري الذي يعد الشعب الجزائري ليوم الفصل الذي يحق الحق و يبطل الباطل ، فان لم تستجب فرنسا لتلك المطالب و هو ما كان العلماء يعلمونه علم اليقين ، و يرونه رأي العين ، اتخذوا من ذالك الرفض حجة أخرى يقتنعون بها الذين يحسنون الظن بفرنسا إنهم لم ينالوا منها شيئا و إن وعودها برق حلب."،أما الموقف الحقيقي للجمعية فهو ما عبر عنه الإمام الإبراهيمي في ذالك الوقت بقوله [2]: " إن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا " .

كانت فرنسا تعلم أن الذي استطاع جمع الجزائريين على كلمة سواء هي جمعية العلماء لذلك قررت أن تقتضي عليها ، و أن تتخلص من رؤوسها المفكرة ، و أن تئد عقولها المدبرة و أن تسكت ألسنتها المعبرة ، فدبرت مؤامرة ضد علماءها في مدينة الجزائر يوم 2 أوت 1936م حيث اغتيل مفتي الجزائر [3] .

[1]– احمد طالب الإبراهيمي ، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، المصدر السابق، ص 36.

[2]– المصدر نفسه ، ص37.

[3]- احمد طالب الإبراهيمي ، أثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج1، المصدر السابق، ص 292.

و أوحي إلى القاتل أن يصرح بان الشيخ الطيب العقبى هو الذي حرض على القتل و لكنه تراجع على أقواله ، فبرا الله العقبى و الجمعية في مدينة قسنطينة بعد أسبوع من اغتيال المفتي بمدينة الجزائر حيث أطلقت رصاصات على الشيخ لاتهام ابن باديس باغتياله، و لكن الله أنجاه فلم يصب بسوء في تلمسان حيث أراد الفرنسيون بالإمام الإبراهيمي كيدا ، لكن شخصا اعلمه بالمؤامرة و نصحه بالخروج من تلمسان بضعة أيام[1] .

المطلب الثاني : موقع الجمعية في الساحة السياسية وعلاقتها بالأحزاب من خلال زعمائها

رغم أن نظرة الجمعية للأحزاب الوطنية نظرة ضيقة إلا أنها لم تعارضهم لمجرد أنها أحزاب و إنما لما كان يثار من مصالح حزبية خاصة ، و هذا ما دفع بالبعض من رجال الجمعية إلى المطالبة بحل هذه الأحزاب فهي حسب رأيهم تعرقل وحدة الشعب و تطوره ، الأمر الذي دفعهم إلى الدعوة لتأسيس حركة سياسية جزائرية على ساس شعبي و ليس على أساس حزبي [2].

لقد دعت الجمعية و منذ عهد ابن باديس الأحزاب الوطنية إلى التوحيد من خلال دعوتها الصريحة في جريدة البصائر[3] : " إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا يا قادة الأحزاب ، إن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار ، تورث العداوة الحزبية بين الأخوة بحجة المحافظة على المبدأ ، فانبذوها بضرورة الاتحاد و مراعاة الظروف ." ثم أضافوا : " إن الجمعية هي المخلص الوحيد لهذا المأزق الحزبي " ، و من خلال تتبعنا لمواقف الجمعية بهذا الخصوص نجد زعمائها يذهبون إلى احد من ذلك حيث يقول الإبراهيمي [4]: " وجدنا بعضهم لا يرضى بان تكون جمعية العلماء جزء من هذا الاتحاد ، و جمعية العلماء كما هي في حقيقتها و كما أعلنت فوق الأحزاب و من مصلحة الأحزاب أن تكون جمعية العلماء فوق الأحزاب ."

---

[1]– احمد طالب الإبراهيمي ، أثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج1، المصدر السابق، ص 293.

[2] – احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، المصدر السابق، ص 115.

[3]– جريدة البصائر، ع 10، بتاريخ 13اكتوبر 1947م، ص2.

[4] – احمد طالب الإبراهيمي ، ج3، المصدر نفسه، ص117.

الواقع يؤكد أن حجم الاستجابة التي تركها تصريح البصائر و دعوة الإبراهيمي لدى الأحزاب السياسية لم تكن ذات قيمة حيث أن الخلافات بين الأحزاب ظلت مستمرة و عدم الاستجابة هذه يؤكدها إسماعيل العربي حين يقول[1] : " الوطنية تتطلب الإخلاص و التضحية أما السياسة فتحتاج إلى محترفين يصلون بسرعة أكثر حين يتمسكون بوجهات النظر التي تفرق الأمة زيادة على هذه الأسباب ، الجزائريون المشردون لا هم بالمدارس العربية و لا هم بالفرنسية ، يحتاجون إلى جمع الصفوف القوي للنظر في أمرهم ."

أولا : علاقة جمعية العلماء بحزب نجم شمال إفريقيا

لم يكن للنجم أي ردة فعل واضحة تجاه تأسيس جمعية العلماء إلا أنها صرحت في قانونها الأساسي بعدم تدخلها في السياسة ، أو لبعدها الجغرافي و اهتمامها بالتعليم و اللغة العربية التي تخص أيضا أنصار النجم بعد احتكاكهم ب "شكيب ارسلان " و يبدو أن استعباد الجمعية الخوض في مسائل السياسية هو الذي طمأن النجم و جعله يتقرب إليها و يناصرها، و من مظاهر ذلك التأييد الذي حظيت به الجمعية من طرف النجم بعد إصدار قرار مشال 1933م من خلال ما أبداه النجم من تعاطف للعقبى دون أن يكون بينهما اتصالات[2] ، لكن مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي و اتجاههما بقوة لخوض النشاط السياسي غيرت نظرة النجم و دفعته إلى معارضتها لكن دون الخروج عليها ، و لرفضه مطالب المؤتمر خاصة فيما يتعلق بمطلب ربط الجزائر بفرنسا[3] .

[1] – جريدة البصائر، ع 13، بتاريخ 10 نوفمبر 1947م، ص2.

[2]– عبد الحميد زوزو، الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين(1919–1939) ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1985،ص132.

[3]– عبد الرحمان بن إبراهيم العقون ، المصدر السابق ، ص 186.

إذ يرى النجم في ذلك إدماجا و ضياعا للشخصية في الوقت الذي لا ترى الجمعية في ذلك حرجا ، لان ذلك يستحق مطلب الاستقلال المعنوي ، و رغم ذلك فالنجم لم يطمئن مما دفع بمصالي الحاج إلى المجيء الفوري للجزائر يوم 2 أوت 1936م ليقلل من مفعول المؤتمر وبين وجهة نظره و خطورة مطالب المؤتمر ، حين عارض تدخل الجمعية في السياسة و فعلا فقد شكل ذلك خطرا على الجمعية و على سير أعمالها ، حيث ذكرت البصائر بيانا للمجلس الإداري بينت فيه : " إن مقاومون جدد ظهروا للجمعية " ، وردت عليهم بقولها [1]: " أنها لم تتدخل في السياسة من باب الحزبية ، و إنما لتحافظ على المقومات الشخصية " لكن مشاركة الجمعية في الأحزاب أي في حزب نجم شمال إفريقيا غيرت نظرته و دفعته إلى المعارضة و اكتفى بإلقاء اللوم عليها لإيمانه بأنها هي من دعت لعقده[2].

ثانيا: جمعية العلماء و حزب الشعب الجزائري

بعد تأسيس ميصالي الحاج لحزب الشعب 1937م ظل الخلاف قائما رغم المحاولات التي أبدتها الجمعية بعد كشفها لنوايا فرنسية " الجبهة الشيعية " غير المجدية ، حين رد رئيس الحكومة " ديلادي_Dilady " بقوله[3] : " إن فرنسا تملك المدافع فعليكم أن ترهبوها " ،فرد عليه ابن باديس بالمثل قائلا [4]: " إن مدافع الله أطول " .

[1]– محمد الطاهر فضلاء ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د.س، ص137.

[2] Ben youcef Ben khedda, Les origins du 1er November ,edition Dahleb, Alger , 1989, p 57

[3]– بسام العسلي ، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة التحريرية الجزائرية، دار النفائس، بيروت، 1982، ص 121.

[4]– عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 135.

و لم تكن للجمعية فقط جهود المصالحة ، بل لحزب الشعب كذالك الذي أراد الاستفادة من شعبية الجمعية ، و كذلك لإبعادها عن كتلة النواب ولكن بعد المؤتمر الإسلامي زادت الخلافات بين الحزب و الجمعية كما تبين لنا من خلال جريدة الدفاع[1] : " رغم تحالفنا في الوسائل و العمل و التفكير ن فقد كنا دائما ندافع و نحترم هذا الحزب ، ذلك لأنه تجمعنا و إياه قضية واحدة هي الدفاع ضد الضغط و عن الحرية الشخصية و الصحافة بيد انه عند تأسيس المؤتمر الإسلامي وجدنا الخندق قد اتسع كثيرا بيننا سواء مع النجم بالأمس أو حزب الشعب اليوم " .

و مع بداية الحرب العالمية الثانية اقتربت وجهات النظر أكثر بين الحركتين خصوصا اثر حل فرنسا لحزب الشعب و تجميد نشاط الجمعية و سجن اغلب أنصارها ، إذ تحولت نظرة ابن باديس إلى المطالبة بالاستقلال لولا وفاته لتتحول إلى نوع من الفتور جراء مجازر 8 ماي 1945 لان الجمعية حملت حزب الشعب المسؤولية[2].

و هنا يمكن القول بان الجمعية قد حذت حذو الأحزاب الوطنية في مطالبها ، و ما سماحها لأفرادها بالانضمام إلى حزب النجم أو حزب الشعب إلا دليلا على ذلك ، رغم الرأي المخالف الذي أبداه كل من العقبى و الزاهري[3] المعروف عنهما أنهما لا يمثلان خط الجمعية.

---

[1]- علي حشلاف ،المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها (1931-1939)، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر معهد الإعلام و الاتصال، الجزائر، 1994، ص185.

[2] - Mohamed harbi, la guerre commence en Algérie, édition complexe, paris, 1984 ; p 44.

[3]- عضو إداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السنوات الخمس الأولى من تأسيسها ، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة 1899م، انتقل إلى قسنطينة و زاول دراسته هناك، هاجر إلى تونس و انظم إلى جامع الزيتونة ، عاد إلى الجزائر و انشأ جريدته الأولى الجزائر شعارها الجزائريين و هذا الشعار وحده كاف لإثارة السلطات الفرنسية لتعطيلها بعدها اصدر جريدة البرق 1927فعطلت، و كان من جملة أعضاء جمعية علماء المسلمين إذ تعاون مع العقبي في تحرير جرائدها الأولى ، السنة ،الشريعة، الصراط، و تعاون مع أمين العمودي في إصدار و تحرير جريدة الجحيم ، و عندما قامت الثورة التحريرية و أعلن عن تأسيس جبهة التحرير الوطني بقي الزاهري بجريدته المغرب العربي مناضلا من خلالها ،فكان الزاهري من ضحايا الاغتيالات و الخلافات الحادة حيث قتلته الثورة بتاريخ 19-5-1956م من دون أن يتزوج، **انظر:** محمد الطاهر فضلاء، المرجع السابق، ص.ص115.116.

إن الهوة بين الجمعية و حزب الشعب بقيت متسعة حيث ذكرت جريدة الدفاع في مقال لها [1]: " رغم تحالفنا في الوسائل و العمل و التفكير فقد كنا دائما ندافع و نحترم هذا الحزب ... ،ذلك لأنه تجمعنا و إياه قضية واحدة وهي الدفاع ضد الضغط ، و عن الحرية الشخصية و الصحافة بيد انه عند تأسيس المؤتمر الإسلامي وجدنا الخندق قد اتسع كثيرا بيننا سواء مع النجم بالأمس أو حزب الشعب اليوم ."

و حسب رأي محمد ألميلي ، فان العلاقة بين الجمعية و حزب الشعب قد مرت بمرحلتين ، المرحلة الباديسية إلى غاية وفاة ابن باديس في 16 افريل 1940م ، و مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية [2].

<u>خلال المرحلة الأولى</u> : لم يكن هناك صراع بين الجمعية و حزب الشعب لأنهما يلتقيان و يتكاملان في العمق (الاختيارات الإيديولوجية) فطرح ابن باديس حسب رأي ألميلي استقلالي في مضمونه و يستدل على ذلك ب[3] :

- تحول نظرة ابن باديس إلى المطالبة بالاستقلال لولا وفاته لتتحول العلاقة إلى نوع من الفتور جراء مجازر 8 ماي 1945م ، و مهما يكن من أمر فان هذه المجازر ستؤثر حتما على مستقبل العلاقة التي تربط بين حزب الشعب و الجمعية إذ حملت هذه الأخيرة حزب الشعب المسؤولية ، وان كان حزب الشعب قد بقي يظهر تعاطفه للعلماء حتى أواخر 1939م كما سبق وان وضحنا .
- نظرة ابن باديس إلى المساواة مساواة بين الأمتين الفرنسية و الجزائرية ، وليس مجرد مساواة بين الأفراد .

[1]– علي حشلاف، المرجع السابق، ص185، نقلا عن جريدة الدفاع، ع 16، بتاريخ جويلية 1937، ص6.

[2] – عبد الرحمان بن العقون ، المرجع السابق، ص219.

[3] – علي حشلاف ، المرجع نفسه، ص185.

- مقاله بعد رفض البرلمان الفرنسي (ربيع 1938) لمشروع بلوم فيوليت نهائيا ، تحت ضغط نواب الكولون و اللولبيات التابعة لهم بفرنسا ، حين صرح قائلا[1]: " آن أوان اليأس من فرنسا ... يأس المغامرة و التضحية "
- ثقة ابن باديس بالطلبة البادسيين أمثال: صالح بوذراع [2]، محمد الزاهي[3] ، محمد بالعابد الجيلالي ، الذين كانوا ضمن الرعيل الأول من رجال فاتح نوفمبر 1954م .

خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تغير الوضع بعد أن تحالفت الجمعية مع حزب البيان ، ما جعل شعبها في الاحتكاك مباشرة مع هياكل حزب الشعب الجزائري.[4]

ثالثا : جمعية العلماء و حركة الحريات الديمقراطية

جعلت حوادث 8 ماي 1945م عددا كبيرا من رجال الجمعية ، ينفرون من أسلوب حزب الشعب على عكس بعض المعلمين و خاصة الشباب الذين ظلوا متعاطفين معه ، لكن بعد حل الحزب و تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية [5].

---

[1] – Mohammed harbi , la guerre commence en Algérie, op–cit, p 45.

2– تلميذ ابن باديس اشتغل معلما بمدرية التربية و التعليم بقسنطينة، حاول خلال حرب العالمية الثانية رفقة العربي التبسي إعلان الثورة لكنهم فشلوا ، عرف بميوله لحزب الشعب، عمل على توحيد فصائله لكنه فشل ، تفرغ للتعليم ، التحق بالثورة بعد اندلاعها و كان من موقعي على بيان 1955 و استشهد في ميدان الشرف. **انظر:** محمد الطاهر فضلاء، المرجع السابق، ص 200.

[3]– معلم بمدارس جمعية العلماء، استشهد خلال الثورة، كانت له علاقات مع الحزب الشعب و حركة الانتصار الحريات الديمقراطية ، **انظر**:تركي رابح عمامرة، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص115.

[4] – ولد سنة 1890 ببلدة أولا جلال ، أصبح معلما بمدرسة التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة ن ترأس مؤتمر المعلمين الأحرار سنة 1946 لجمعية العلماء ، ليختفي بعد ذلك و عند اندلاع الثورة التحريرية كان سباقا إلى حمل السلاح رغم تقدم سنة ، القي القبض عليه و أودع بالسجن لمدة 10سنوات حتى استقلال الجزائر ، و عاد إلى التعليم إلى أن وفاه الأجل 2فيفري 1967م. **انظر:** محمد الطاهر فضلاء، المرجع نفسه، ص188.

[5]– تركي رابح عمامرة ، المرجع نفسه، ص 373.

و يمكننا القول بان الأمر قد تغير يكفي أن الإبراهيمي قد طلب من فرحات عباس سحب مرشحيه في الانتخابات حتى يتسنى حركة الانتصار انه مسالة ثانوية خصوصا ا نالاهم في ذلك الوقت هو الاستقلال الوطني ، المر الذي دفع بحركة الانتصار إلى محاولة التقليل من نشاط العلماء متبعا أسلوبين :

1-محاولة استغلال التعليم و مدارس الجمعية لصالحها لأنهما ملك الأمة، مع أن الجمعية ضد أي نشاط سياسي داخل مدارسها[1].

2-وهو الدعاية ضد الجمعية بأنها تهتم بالمواضيع الثانوية متناسبة بان الاستقلال يكون أسهل بالتعليم و الوعي و أول إجراء قامت به الجمعية تجاه هذا الموقف هو إبعاد أولئك المعلمين المتعاطفين مع حركة أنصار الحزب و الذين شكلوا خطرا على مدارس الجمعية خصوصا أن كثيرا من الذين كانوا يقومون بتمويل مدارس الجمعية قد أوقفوا دعمهم لمثل هذه المدارس بعد أن راو تحولها حسب رأيهم إلى مأوى للنشاط السياسي[2].

و مما تجدر الإشارة إليه انه حتى الطلبة الجزائريين بتونس لم يسلموا من هذه الانتقادات مما دفع بالجمعية إلى محاولة معالجة الموضوع بإرسال محمد خير الدين لإصلاح الأوضاع رغم تصدي أنصار الحركة الذين اعتبروا ذلك تحديا لهم ، و عملوا كل ما في وسعهم على إفشاله فاضطرت الجمعية إلى إرسال التبسي ، لكن بعد فوات الأوان فالخطر قد استفحل بين الطلبة ، الأمر الذي زاد من الهوة بين الجمعية و الحركة حتى وصفهم احد أعضاء الجمعية بأنهم يحاربون القران و العربية [3].

[1]- احمد طالب الإبراهيمي ، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، المصدر السابق، ص 117.

[2]- احمد طالب الإبراهيمي ، عيون البصائر ،المصدر السابق، ص33.

[3] - احمد طالب الإبراهيمي ، أثار الإمام البشير الإبراهيمي ، المصدر نفسه، ص120.

و أما بالنسبة لمسألتي الوحدة و الزعامة لأنها ليست حزبا سياسيا و إنما جمعية دينية ثقافية إضافة إلى ذلك صفات قادتها ، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت من الجمعية صاحبة الريادة بدون منازع في وقت لا يخفى أنصار حركة الانتصار تشبثهم بالزعامة لمحاولة تحقيق الوحدة ، معتبرين ذلك حق من حقوقهم و من حقوق زعيمهم مصالي الحاج صاحب المبادئ الاستقلالية السياسية لذالك نادوا إلى اتحاد تحت مظلتهم ، و بالطبع هذا لا يرضي الجمعية التي لا تؤمن بالحزبية و ما زاد من حدة الخلاف بينهما أكثر تصرفات الحركة المعتمدة في الدعاية و التي تراها الجمعية منافية للأخلاق ، حين وصف الإبراهيمي أتباع ميصالي الحاج بالطريقة السياسية التي تستحوذ على أموال الشعب بالباطل ، و يمجدون الزعيم ميصالي كأنه شيخ الطريقة [1].

رغم كل هذه الخلافات بين الجمعية و الحركة إلا أن هناك نقاط تقارب بينهما نذكر منها[2]:

– التركيز على الهوية الوطنية ، فحركة ميصالي و أنصاره يقدرون دور الجمعية في هذا المجال ، و إن اختلفوا معهم في الطريقة في الوقت الذي نجد فيه الجمعية تثني على جهود الحركة في موضوع الهوية مع كثير من التحفظات ، و نلمس هذا التقارب في رفض الإدماج و الدستور الجزائري .

– مشاركتهم معا في جبهة الدفاع عن الحرية و احترامها ، رغم أن ميصالي لم يتحمس للفكرة .

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المصدر السابق، ص 39.

[2] – Ben jamine stora, messali hadj, édition l’harmattan, paris, 1986,p 235.

رابعا: الجمعية و فرحات عباس

إذ بدأنا الحديث عن فرحات عباس فسيتبادر إلى ذهننا ذلك الرجل المتفرنس الذي قال يوما ما "فرنسا هي أنا " متناسين انه قال أيضا سنة 1926[1] : " إن الإسلام سيبقى معتمدنا الأكيد ... و إن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية هو بلادنا الحقيقية " .

فإذا كان بهذه المبادئ التي تبدو لنا متناقضة ، كيف كان طابع العلاقة الذي يربط بجمعية العلماء ؟

إن العلاقة بين جمعية العلماء و فرحات عباس كانت موجودة قبل أن تتأسس الجمعية و يمكن أن نلتمسها في موقفهما المشترك من قضايا التعليم ، محاربة الطرق الصوفية ، رفع مستوى الوعي عند الجزائريين[2] ، و من جهة أخرى كان فرحات عباس من اشد المتحمسين للتعليم ، و بالتالي فهو من اشد المعجبين بمبادئ الجمعية التي تضع مسالة التعليم في أولى اهتماماتها و الجمعية هي أيضا من اشد المعجبين به رغم تصريحه الشهير و الذي رد عليه ابن باديس ردا قويا ، اقتنع به فرحات عباس في نهاية المطاف .

من هنا ندرك بداية العلاقة بين ابن باديس و فرحات عباس و التي توطدت أكثر حينما بدا فرحات التقرب إلى الجمعية مستغلا التوتر الحاصل بين ابن باديس و ابن جلول من جهة و شعبية الجمعية من جهة أخرى[3] ، لكن هل سيبقى الأمر على ما عليه بتأسيس حركة أحباب البيان و الحرية ؟ ، فهدف العلاقة قائم على أساس المصلحة المتبادلة .

---

[1] – Ben jamine stora et Zakia Daoud , Ferhat Abbas , Edition casbah, Alger , 1995 , p 39.

[2] – فرحات عباس ، حرب الجزائر و ثورتها (ليل الاستعمار) ، تع: ابو بكر رحال ، د.ط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.س، ص91.

[3] – جريدة البصائر ، ع 8 بتاريخ 21فيفري 1936م، ص7.

فجمعية العلماء تهدف من وراء علاقتها بفرحات عباس البحث عن التغطية السياسية ، بنفس القدر الذي يريده فرحات من الجمعية و هو الشرعية الدينية و الشعبية ، فالتحالف بينهما هو تحالف تكتيكي مؤقت حتى و لو كان التطابق في البرنامج ظاهري بينهما ، فهو يخفي تباعد في الجوهر و المبدأ[1] .

فكما هو معلوم أن ظروف الحرب العالمية الثانية ، قد شارك فرحات عباس في صفوف الجيش الفرنسي و التي ساعدته أن يدرك أن الفرنسيين لا يؤمنون بتحقيق المساواة التي كانوا يدعون إليها فاقتنع بان فرنسا ليست صاحبة المبادئ كما كان يرى ، فاستغل فرصة نزول الحلفاء إلى الجزائر[2] ، و حاول الاتصال بمختلف القوى الفاعلة في الجزائر و منها جمعية العلماء المسلمين لتقديم بيان للحلفاء يضغطون من خلاله على فرنسا بمنح الجزائريين الحق في تقرير المصير ، و فعلا حصل على تأييد رئيس الجمعية الإبراهيمي ، رغم تخوفه من سياسة فرحات الفيدرالية و تمت كتابة البيان الذي عرف ببيان 10 فيفري 1943 م[3].

و اثر رفض فرنسا مطالب البيان و تجاهلها له في قرار 7 مارس 1944م ، رأى فرحات عباس ضرورة دراسة الوضع المترتب بين الجمعية و حزب الشعب ، فاجتمع الثلاثة لدراسة مقترحات البيان ، وكللت ذلك بميلاد حركة أحباب البيان و الحرية ، من هنا تبدأ العلاقات بينهما التي سارت نحوى مجرى جديدا إذ تحمست الجمعية لمطالب البيان لكونها حافظت على الشخصية الوطنية من جهة و استطاعت أن تجمع القوى الوطنية الفاعلة في الجزائر من جهة أخرى ، وهذا التجمع قد افزع الإدارة الفرنسية ممثلة في ردة الفعل القوية بالرفض لما جاء في بيان من قبل رئيس شيوخ البلديات من الأوروبيون [4].

---

[1]– محمد خير الدين ، المصدر السابق، ص85.

[2]– يحي بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 115.

[3]– – ما تضمنه البيان هو شرح لسياسة الاستعمارية التي جلبت على الأمة الجزائرية الفقر و الجهل ، أعطى بديلا لذلك و هو إعلان جمهورية جزائرية مستقلة تحفظ للجزائر شخصيتها و لفرنسا مصالحها ، المطالبة برسمية اللغة العربية ، فصل الدين عن الدولة،. **انظر:** محمد مبارك الميلي، **فرحات عباس بين باريس و القاهرة**، المصدر السابق، ص78.

[4]– عبد الحميد زوزو، حوادث 8 ماي 1945م، مجلة الثقافة، **ع** 109، أوت 1995م، ص 45.

وما زاد غيظ المعمرين هو اعتراف الحكومة الفرنسية بجمعية أحباب البيان و الحرية فردة الفعل هذه من قبل الأوربيين ترجمت ببدء التحركات من جانب المعمرين بضرب حركة البيان في الوقت الذي قررت فيه الحركة القيام بمظاهرات سلمية بعد أن انتصرت فرنسا على دول المحور 1945م و باستغلال الموقف حدثت مجازر 8 ماي 1945م التي كان من نتائجها[1] .

إضافة إلى الخسائر البشرية و المادية ، حل حركة البيان ، اعتقال قادتها و أنصارها و ترحيلهم إلى السجن العسكري بقسنطينة أين توطدت العلاقة أكثر بين فرحات و الإبراهيمي لتزداد أكثر بعد خروج الرجلين من السجن و تأسيس فرحات عباس للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري [2].

أثناء تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لم تكن لجمعية العلماء جريدة تتكلم باسمها ، فرغم ما قدمه الإبراهيمي لحركة الانتصار من خدمة [3]، إلا أن ميصالي لا يعترف بذلك خاصة نهاية الأربعينيات إذ حاولوا استغلال المدارس الجمعية و بعثاتها الطلابية لنشر دعايتهم الحزبية ، فالعلاقة بين الجمعية و التحاد الديمقراطي ظلت قائمة و متينة يدل على عمقها الدعم الصريح للمكتب الإداري للاتحاد في الانتخابات[4] .

[1]– محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 19.

[2]– المصدر نفسه ، ص20.

[3]– أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، المرجع السابق، ص136.

[4]– المرجع نفسه، ص 138

خامسا : جمعية و كتلة النواب

فكانت العلاقة بين الجمعية و كتلة النواب لانحيازها لها و ذلك رغم التباين الكبير في النظر فالعلماء تارة يجدون في النواب أحسن من يمثل السياسة و تارة أخرى ، ينظرون إليهم بسخرية و يعتبرونهم أبناء فرنسا و ألعوبة في يد المعمرين و ذلك لكونهم متأثرين لمبادئ الفرنسية و النواب يجدون في الجمعية مطية للحصول على الشهرة و التأييد ، و لعل أهم عامل ساعد على هذا التقارب هو إدراكهما لما تمثله الجمعية من ثقل في الأوساط الشعبية و احترام قادتها ، و قد استمرت العلاقة بين الجمعية و كتلة النواب خصوصا أثاء التحضير للمؤتمر الإسلامي و في حقيقة الأمر للعلاقة بينهما أمر معقد جدا ، فالجمعية تطلب حمايتهم في أوقات الشدة و النواب يحتاجون إلى تأييدها للفوز بالانتخابات[1] .

سادسا : جمعية العلماء و الحزب الشيوعي

منطقيا و بالنظر إلى مبادئ لكل من القوتين نرى استحالة أن تكون بين الجمعية و الحزب الشيوعي علاقات ، لكن رغم الخلاف السابق ، نجد محاولة الجمعية التقرب من الحزب مع انه يعتبرها منظمة برجوازية تحارب الشيوعية و تعمل ضد العمل الثوري المنادي بالاستقلال و مع ذلك فالعلاقات بينهما تعود إلى فترة صدور قرار مشال الذي ضيق من نشاط الجمعية[2] .

و في حوار صرح به ابن باديس إلى بعض الوطنين إن سياسة الجمعية تتلخص في أن عدو عدونا صديقنا ، و هذا التصريح كاف على فهم أن ابن باديس يستخدم كل الوسائل للوصول إلى مبتغاة أما فيما يخص إن الجمعية اعتمدت على الحزب الشيوعي في المؤتمر الإسلامي لكونه طرفا في الجبهة الشعبية الحاكمة ، و إن هدف المؤتمر هو توحيد كل الأطراف الجزائرية دون تميز[3] .

---

[1]– محمد مبارك الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، المصدر السابق، ص 136.

[2]– احمد الخطيب ، المصدر السابق، ص 44.

[3]– أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 371.

و رغم ذلك فالعلاقة لم تستمر ، و هذا لفشل المؤتمر بعد رفضه من طرف الجبهة الشعبية و مع أن الحزب الشيوعي طرف فيه إلا انه لم يحرك ساكنا و هذا في حد ذاته يعد تخاذلا ، الأمر الذي جعل الجمعية لا تقدم على ربط العلاقات من جديد رغم محاولات الحزب الشيوعي المستمر في هذا الاتجاه منذ سنة 1938م[1] .

[1]– محمد مبارك الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، المصدر السابق، ص 227.

المطلب الثالث: جمعية العلماء و العمل الثوري

لقد انصرفت الجمعية في نشاطها الدعوي إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية و الوطنية عن طريق الاهتمام بالمدارس و التدريس الديني و العام مدركة حاجة السياسية و القتال إلى السبل المختلفة [1].

و قد كان العمل السياسي عند الجمعية ليس حكرا على رجال السياسة المحترفين فقط فكل من يتعمق في فهم الفكر السياسي للجمعية يدرك مدى واقعية و عمق منهجها السياسي و تكيفه مع ظروف المجتمع الجزائري الذي كان تحت يد الاستعمار الفرنسي ، حيث كان مطلبها الأساسي و الرئيس في نضالها ضد المستعمر هو إجلاؤها من هذه الأرض و تحرير العباد من سلطته و هذا ما يستشف من نضالها الحثيث من اجل النهوض بالأمة في شتى المجلات و محاربة الاستعمار وأعوانه وقد تجلى ذلك واضحا من خلال موقف أعضائها[2] .

فغالبية المؤرخين المثقفين أو على الأقل تلاقت وجهات نظرهم فيما يخص مساهمة المصلحين في تاريخ الثورة ، فعلى سبيل المثال يرى محفوظ قداش غموض المصلحين في النشاط السياسي[3] .

---

[1]– يحي بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 414.

[2]– المرجع نفسه، ص415.

[3] – Mahfoud kaddache, histoire du nationalisme algériens question national et politique algérienne (1919–1951) Alger, enal2eme Edition, 1993,2 tomes, p 223.

أولا: موقف الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الاستعمار

يسير ابن باديس في خط مواجهة الاستعمار الفرنسي بتحدثه عن الاستقلال و الحرية مطالبا فرنسا بالحقوق كأنما ليوهم فرنسا أنها صاحبة الأمر ليواصل هو عمله في إيقاظ الأمة ذلك إن الأمة جاهلة بدينها و تاريخها و لغتها و شخصيتها و كيانها لا تقوى على احد الاستقلال أو التفكير فيه ، و كان مما قاله ابن باديس يوقظ به الأمة إلى حقها في الاستقلال فيقول[1] : " إن الاستقلال حق طبيعي لكل امة من أمم الدنيا و قد استقلت أمم كانت دوننا في القوة و العلم و المتعة و الحضارة ، و لسنا مع الدين يدعون علم الغي مع الله و يقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا و تصبح الجزائر مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر".

لم يقف ابن باديس عند مرحلة التفكير و الكتابة في الصحافة داعيا الاستقلال بل تعدى ذلك إلى مرحلة التفكير العملي ، فبعد رجوعه من فرنسا حيث شارك في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م ، استقبل من طرف عشرات الآلاف فخطب فيهم فقال[2] : " أيها الشعب انك بعملك العظيم الشريف برهنت على انك شعب متعشق للحرية و هائم بها ، تلك الحرية التي ما فرقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها ، و سنعرف في المستقبل كيف نعمل و كيف نحيا بها و نموت من اجلها "

[1] – عمامرة تركي رابح ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و رؤسائها الثلاثة (1931–1956) ،ط1، دار الموفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص 53.

[2] – مجلة الشهاب ، ج3، ع 12،جوان 1936، ص 145.

و قد روي عن الشيخ أكثر من حديث ابدي فيه عزمه على إعلان الجهاد و منها ما ذكره الشيخ محمد الصالح رمضان إن بعض شبان الحركة الوطنية جاؤوا للشيخ ابن باديس و قالوا له[1] : " أنت شخصية كبيرة ، لماذا لا تدعو للاستقلال و أنت مسموع الكلمة ؟ " فقال لهم : " يا أبنائي من أراد أن يبني منزلا هل يبدأ بالسقف ؟ " قالوا: لا ، قال : فبماذا إذن ؟ قالوا : " بالأساس و الجدران " ، فقال[2]: " هذا ما افعله الآن نبني الأساس و الجدران ثم نبني السقف "

و إن كان ابن باديس قد فكر في الثورة فقد اعد لها عدتها فكريا و نفسيا و عسكريا فقد أكد احد التلاميذ ابن باديس الأقدمين و هو محمد صالح ايجة من دارة أفلوا أن الشيخ كان يسال تلاميذه الكبار عن أدائهم للخدمة العسكرية فمن أداها ميزه عن غيره و قال لهم [3]: " إننا سنحتاجكم يوما و كان يوصهم بالمحافظة على معرفتهم للرمي " و كما ذكرنا من قبل انه كان يقرب إليه الفضيل الورتيلاني لان هادى الخدمة العسكرية ، و كان يعهد إليه بتربية صغار التلاميذ على الثورة .

و لقد عاش الشيخ عبد الحميد ابن باديس للفكرة و المبدأ و مات و هو يهتف : " فإذا هلكت فصيحتي ، تحيا الجزائر و العرب " ، و عند تدهور حياته بالمرض فقد كانت آخر محاولة للإدارة الاستعمارية هي زيارة والي عمالة قسنطينة للإمام في مرضه الذي توفي فيه ، و كان في منزل والده ، في هذه الزيارة عرض الوالي عليه بان يصرح بأنه نادم على زج جمعية العلماء في السياسة ، و انه لا يحمل حقدا لفرنسا ، فهنا حاول الإمام القيام من فراشه و قال في غضب[4] : " أخرجوني من هنا ، أو أخرجوه ن فقام الوالي و خرج يتعثر في أذيال الخيبة و الهزيمة " لقد كان هذا الموقف المشرف أخر موقف للإمام الذي ختم به حياته المليئة بالأعمال الصالحة و لم تنل في الخيرة الإدارة الاستعمارية أدنى تنازل منه.

---

[1]–محمد صالح رمضان ، الإمام عبد الحميد ابن باديس و من أرائه و مواقفه، د.ط، الجزائر، دار البعث، 1983، ص 49.

[2]– المرجع نفسه، ص51.

[3] – المرجع نفسه، ص22.

[4]– المرجع نفسه، ص 23.

ثانيا : موقف البشير الإبراهيمي من الاستعمار

للشيخ الإبراهيمي عدة أراء حول الاستعمار تصب كلها في تكريس معاداته و العمل على التخلص منه[1] : " إن الإسلام و الاستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية فالإسلام دين الحرية و التحرير، و الاستعمار دين العبودية و الاستعباد ، نستنتج من كل ذلك إن الاستعمار عدو لدود للإسلام و أهله فوجب في حكم الإسلام اعتبار الاستعمار ألذي أعدائه ووجب على المسلمين أن يطبقوا هذا الحكم و هو معاداة الاستعمار لا موالاته ".

ليس غريبا على أي استعمار أن يسلب الإنسانية حريتها و يطوقها و لكن الغريب إن الاستعمار يستعمل ألفاظ الرحمة أو بعض اشتقاقاتها في سلب هذه الحرية ، هذه السطوة الفظيعة و القبضة الوضيعة كانتا دائما مع صنيع الاستعمار الذي يقول عنه الشيخ [2]: " جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة ، تحمل الموت و أسباب الموت، و الاستعمار ضل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح وكلامنا موجه إلى فرنسا الاستعمارية و إلى آلات الاستعمار من عقول و أفكار و رجال و هيئات ، فلا تتجاوز الظنون بنا هذه الدائرة "

و هكذا يأخذ البعد السياسي في كتابة الإبراهيمي تركيزا مباشرا لا يميل إلى التلميح أو الترميز ، لان الموقف يستوجب الخيار بين أمرين[3] :

_ إما الخضوع للسلطة الاستعمارية و الحصول على الامتيازات .

_ أو التوجه إلى الشعب مما يؤدي إلى غضب السلطة .

---

[1]– محمد صالح رمضان، المرجع السابق، ص26.

[2]– جريدة البصائر، ع 115، 1950، ص1.

[3]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1954– 1964) ، ص 68.

فاختار الإبراهيمي الخيار الثاني ن مما دفعه إلى تبصير الشعب بحقيقية الخطر و إلى تعبئة الغافلين و قهر دعاة الاستعمار و أنصاره قائلا[1]: " يا هؤلاء ، إن الاستعمار شيطان و إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا و إن الاستعمار شر و محال أن يأتي الشر بالخير ، و محال أن يحبني من الشوك العنب "

إن الطابع العام للفكر السياسي عند الإبراهيمي يرسم حقيقة الوعي الإنساني ، على الرغم من أن السمة الأساسية التي تميز نوعية التفكير عند الإبراهيمي هي السمة الإصلاحية و هي سمة غالبا ما تأخذ قيمتها الشعورية عن طريق الوازع الديني [2].

إن التحرير من الاستعمار في فكر الشيخ الإبراهيمي قسمه إلى قسمين :

احدهما : استعمار روحاني داخلي

يقوم به جماعة من إخواننا الذين يصلون لقبلتنا باسم الدين ، و غايتهم استغلال الأمة ، ووسيلتهم صدى الأمة عن العلم ، حتى يستمر لهم استغلالها و هؤلاء مشايخ الطرق الصوفية التي شوهت محاسن الإسلام[3] .

[1]– جريدة البصائر، ع 4، 29 أوت 1947، ص1.

[2]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار البشير الإبراهيمي، ج5، المصدر نفسه، ص70.

[3]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج2، المصدر السابق، ص52.

الثاني : استعمار مادي

تقوم به حكومة الجزائر باسم فرنسا ، و غايته استغلال الأمة ووسيلته سد أبواب العلم في وجه الأمة حتى يتم لها استغلالها ، و الاستعمار أن يتقارضان التأييد و يتبدلان المعونة ، كل ذلك على حساب الأمة الجزائرية المسكينة ، أولئك يضلونها و هؤلاء يذلونها و جميعهم يستغلونها و كنا نتفق على هذا ، و لكننا نجمل الرأي في أي الاستعمارين يجب أن نبدأ بالهجوم عليه ولم يكن من الصعب علينا الاتفاق على الهدف الأول للهجوم ، فاتفقنا على أن نبدأ بالهجوم على الاستعمار الأول و هو الطرق الصوفية لأنها هي مطايا الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا ووسطها و غربها و لولاها لم يتم له تمام[1] .

ولطالما دعا الإبراهيمي بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية ، و لكنها كانت دعوة غير مباشرة لفصل الجزائر عن فرنسا[2]

و نقول هنا إن ثمار تلك الجهود التي قامت بها جمعية العلماء في تربية النشء و تعليمه قد ظهرت مع ثورة نوفمبر 1954م ، حيث أن مناهج التعليم التي كانت تقارن بين تعليم اللغة العربية و تعاليم الدين الإسلامي هي التي خلقت ذلك التلاحم الفكري العقائدي أثناء الثورة ، و لما كانت الدعوة إليها وفق تلك التعاليم التي انتشرت في ربوع الجزائر فقد كان من السهل على الشعب أن يتبنى العمل الثوري و يدخل فيه دون تردد على العكس من ذلك لو كانت الدعوة للثورة من أطراف أخرى إذ و بعد قيام ثورة نوفمبر 1954م ، أصبح هم أغلبية الجزائريين كيفية التخلص من الاستعمار بصفة نهائية و استرجاع السيادة الوطنية ، فانقلبت الأوضاع و أعلن الجهاد باسم الإسلام و القران و قام الشعب الجزائري كرجل واحد لمكافحة العدو، وبذلك يمكن القول أن أهداف علماء الجمعية كانت ثورية تحريرية و أن بدت سلمية في وسائلها [3].

---

[1]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج2 المصدر السابق، ص 54.

[2]– جريدة البصائر، ع4، المصدر السابق، ص 4.

[3]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج5، المصدر السابق، ص 70.

لقد كان مطلب جمعية العلماء الأساس و الرئيس في نضالها ضد المستعمر هو إجلاؤها من هذه الأرض و تحرير العباد من سلطته ، و هذا ما يستشق من نضالها الحثيث من اجل النهوض بالأمة في شتى المجالات و محاربة الاستعمار و أعوانه و قد تجلى ذلك واضحا من موقف رجالاتها إزاء الثورة فقد استبشر رئيس الجمعية و احد ابرز أعضائها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي باندلاعها خيرا و هو في المشرق العربي ، و سرعان ما استجاب لهذا النداء و قام بالقاهرة بمشاركة الفضيل الورتيلاني بإصدار بيان الشعب الجزائري حثه فيه على المشاركة في الجهاد من اجل تحرير البلاد من الهيمنة الاستعمارية كما أن الإبراهيمي كان يتوقع اندلاع الثورة لأنها هي الأمل الوحيد في إعادة الجزائر إلى عزتها و كرامتها لان ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة[1]

يقول الشيخ الإبراهيمي [2]: " انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر اليوم الأول من نوفمبر الحالي ، و قد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر تترقب هذه الثورة و نتوقعها ، نترقبها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي الذي لا يعرفه إلا من ابتلى به و نتوقعها لان هذا هو وقتها و لان فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة و لا يفتح أذانها إلا هذا الصوت "

و حاول الإبراهيمي شرح أسباب هذه الثورة معتبرا استعمار هو المتسبب فيها فهو الذي هيا الأسباب و الظروف لقيامها يقول [3]: " إن الصراع القائم الآن في الجزائر مصدره الأصيل و علته الأساسية هو الاستعمار و أثاره الطبيعية فيه من استعباد و إذلال و قضاء على الحريات و امتهان لكرامة الإنسانية ، و زاد نار الصراع لهيبا التي لفقها الأوهام الاستعمارية و هي أن الجزائر ثلاث مقاطعات فرنسية ".

[1]- احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج2، المصدر السابق ، ص72.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 24.

[3]– المصدر نفسه، ص43.

فهذا الاستعمار الذي تحاربه الثورة اليوم هو الذي حارب الإسلام و اللغة و هدم المساجد و حول بعضها إلى كنائس ، و هو الذي قضى على الروابط الأخوية بين أبناء الوطن الواحد ، و في حديثه عن مفهوم الثورة تطرق إلى مفهومين مثلا زمن لمعنى الثورة [1].

و معنى الثائر[2] : " الجزائر الثائرة بالمعنى الأول على الاستعمار الفرنسي الذي جثم عليها قرنا و ربع القرن و سامها سوء العذاب و رماها بالمخزيات الثلاث (الجهل، الفقر، المرض) ، و استأثر بخيراتها الوفيرة و قضى بأساليب يعجز عنها الشيطان على كل أسباب القوة فيها ..."

القي الإبراهيمي على مسامع الحاضرين خطبة أشاد من خلالها بدور المجاهدين الجزائريين _في كفاحهم الباسل ضد الوجود الفرنسي حيث يقول[3] : " إن ثورة الجزائر شبت عن طوق الأقوال و أصبحت في مرحلة في غناء فيها للخطب و إن طالت ، ولا للأقدام و إن طالت و جالت ، فليربح خطباء العربية و شعرائها و كتابها ألسنتهم و أقلامهم من التغني بالثورة الجزائرية و أبطالها و ليوجهوا عنايتهم إلى التي هي أوفى بذمام الأخوة و هي مد الأيدي لإعانة أولئك الأبطال المجاهدين "

كما اعتبر الإبراهيمي هذه الثورة مفخرة لكل العرب لأنها ثورة عربية إسلامية في وجه محتل أجنبي إذ يقول [4]:" إن ثورة الجزائر في حقيقتها العليا ثورة ذهنية في تاريخ العروبة الطويل ، و قبسه نوارينية من مشرق الإسلام و نفحة علوية من أرواح الفاتحين الأولين "

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق ، 158.

[2]– المصدر نفسه، ص122.

[3] – المصدر نفسه ، ص123.

[4]– المصدر نفسه، ص 125.

و اعتبر الدفاع عنها واجب مقدس على كل العرب لان إخوانهم الجزائريين تجمعهم عقائد الدين الإسلامي و خصائص العروبة و إنهم حين يستصرخونهم و يستنجدون بهم فإنهم يستنجدون بالأرحام و المعروف[1] .

و مما تقدم يمكن القول[2] : " إن جهاد الجمعية الطويل في سبيل إنجاح الثورة الجزائرية يجلى بوضوح فكر الجمعية السياسي من خلال مقالات رجالاتها الحماسية ، و ما كتبه أولئك الرجال إلا دليل على الدور الريادي الذي لعبته جمعية العلماء في مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث ، و نلخص أن اهتمام الأدباء الجمعية بقضايا الجزائر السياسية عامة كالمؤتمر الإسلامي 1936م و أحداث 8 ماي 1945م و الثورة الجزائرية 1945 م ما هي إلا دليل قاطع لمسار فكر هؤلاء الرجال لكل الأحداث و القضايا التي عاشها الشعب مشاركين بارئاهم و مواقفهم فيما فيه صلاح هذه الأمة جمعاء[3] "

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق ، ص126

[2] – Saleh ferkous , l'histoire l'Algérie des fleniciens à l'indépendances , 1962, maison séance éditer et distribution , Annaba, 2007, p 37-38.

[3]– محمد مبارك الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، المصدر السابق، ص 171.

المبحث الثاني: موقف الجمعية من اندلاع الثورة التحريرية

يدرس هذا المبحث موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اندلاع الثورة من خلال جريدة البصائر التي كانت لسان حال جمعية العلماء و التي استمرت في الصدور إلى غاية شهر افريل 1956م ، ثم موقف إدارة الجمعية في الداخل الذي تميز بالغموض و التحفظ ، إلا أن ظروف الثورة و تطورها إضافة إلى انخراط مجموعة من أساتذة و طلبة الجمعية فيها سريا سيؤدي بها إلى إعلان تأييدها الرسمي للثورة و الاعتراف بجبهة التحرير في اجتماعها العام يوم 17 جانفي 1956م على المستوى الرسمي و الفردي و في الأخير سنتطرق إلى موقف الإدارة الفرنسية من انضمام الجمعية للثورة خاصة و أنها كانت تسعى إلى جعلها طرفا مضادا لجبهة التحرير الوطني ، و عندما فشلت أوقفت جريدة البصائر و اقتحم الجنود الفرنسيون مقر الجمعية [1].

و الحق أن جمعية العلماء لم تكن معارضة للعمل الثوري و للحرية و الاستقلال لان زعيمها الإمام عبد الحميد بن باديس كان يؤمن بالثورة ضد الاستعمار و رغم وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلا أن إدارة الاحتلال ظلت تتخوف من العلماء و تأثيرهم في أوساط الشعبية لأنها كانت تعلم أن ابن باديس قد ترك وراءه في خضم معركة شخصيات ورثت الكلمة و المنهج السليم لقيادة الحركة في اتجاها الانفصالي عن فرنسا [2].

[1] – محمود قاسم،المرجع السابق، ص 203.

[2] – المرجع نفسه ، ص 204.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية استمرت جمعية العلماء في نشاطها الإصلاحي إلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م و التي اعد لها فئة من الرجال لم تكن معروفة على الساحة السياسية و لما اندلعت حيرت الجميع مما فيها الأحزاب السياسية أو الطبقة الشعبية و حتى السلطة الاستعمارية الفرنسية ، لكن مع مرور الأيام تغيرت المواقف و ظهرت كثورة شعبية حقيقية[1] .

المطلب الأول : موقف جريدة البصائر (1954_1956) من اندلاع الثورة

لقد كانت البصائر من أهم جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و قد صدرت السلسلة الثانية منها سنة 1947م إلى غاية 1956م ، واستمرت في نشر مقالاتها التي ازدادت حدة و نشاطا خاصة بعد النهاية المأسوية للحرب العالمية الثانية رغم أن الجزائريين ضحوا بعشرات الآلاف من أبنائها للدفاع عن فرنسا حيث ارتكبت مجازر راح ضحيتها أكثر من ألف شهيدا في شهر ماي 1945 م ولم تؤثر هذه المجازر في جمعية العلماء المسلمين فقط بل في كل التيارات السياسية الأخرى[2].

والمتتبع لجريدة البصائر و عند اندلاع ثورة أول نوفمبر و في عددها 292 ليوم 5 نوفمبر 1954 م في مقال بعنوان[3] " حوادث الليلة الليلاء " كتب ما يلي:

" فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلما بين الساعة الواحدة و الساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين غرة نفامير ولقد بلغ عدد الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ما بين الحدود التونسية و شرقي عمالة وهران ، إلا أن عمالة قسنطينة و خاصة جهاتها الجنوبية كانت صاحبة المقام الأول فيها و كادت تتركز الحوادث في جهات جبال الاوراس ...، إننا إلى حد الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث و أسبابها و ليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف و الإذاعات الفرنسية ، كما أنها لم تشر إلى موقف أي من عناصر و

[1] – محمود قاسم،المرجع السابق، ص 210.

[2] – احمد طالب الابراهيمي، عيون البصائر ، المصدر السابق، ص 54.

[3] – جريدة البصائر ، **مقال**: " حوادث ليلة الليلاء "، ع 292، يوم 5 نوفمبر 1954م، ص 1.

هيئات الحركة الوطنية الجزائرية و لم تشر إلى بيان الشيخ الفضيل الورتيلاني في 3 نوفمبر 1954 م ."

لكن الملاحظ أيضا أن الجمعية لم ترد أن تقحم نفسها في أمر لم تتأكد منه كما أن تأكيدها لفكرة العمليات المسلحة سيعرضها للحل و مصادرة الجريدة و بالتالي ما ذكرته منقول من الصحافة و الإذاعات الفرنسية كي لا تتحمل أي مسؤولية ، بينما يذهب احمد توفيق المدني[1]: " إلى انه كان يعلم بأمر الثورة حيث اتصل برجل من اكبر رجال الحركة الجديدة الذي أكد له إن الثورة ستنفجر قريبا " كما ذكر انه تسلم غرة نوفمبر بقليل منشور الثوري السري وتاريخ اندلاعها ."

ويضيف أيضا انه اتصل بالشيخ محمد خير الدين، و اتفقا على عقد المجلس الإداري للجمعية وخلاله أكدوا على أن الجمعية مع الثورة ، لكن محمد الطاهر فضلاء في كتابه (التحريف و التزييف) نفى على لسان الشيخ محمد خير الدين ما أورده احمد توفيق المدني في كتابه (حياة كفاح) و كتب[2] : " كل هذا إلا أساس له من الصحة ، فما كان احد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئا قبل اندلاعها ... في صباح يوم فاتح نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل إلينا موظف من موظفي الدار بيده جريدة (لاديبيش _la dépêche) القسنطينية ومنها علمنا أول أخبار الثورة المتفجرة ..."

أما في العدد 293 ليوم 19 نوفمبر 1954م تحت عنوان " لنجابه الحقائق بالحكمة و العقل" حيث حوصلة نتائج الأسبوعين الأوليين من نوفمبر ، و ذكرت أن عدد الهجوميات التي قام بها الثوار هي سبعين هجوما ، إذ أنها ذكرت ثلاثين هجوما في العدد 292 ليوم 5 نوفمبر 1954م

[1]– احمد توفيق المدني ، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص18.

[2]– المصدر نفسه، ص 19.

ان هذه الحوادث انقسمت إلى ثلاثة أقسام[1] :

_ قسم اكتفى بما حدث في تلك الليلة حيث ألقت السلطات القبض على اغلب مديرها و يشمل مناطق عمالة وهران و بعض مناطق عمالتي الجزائر و قسنطينة

_ قسم ثان يخص الجبال القبائلية

_ قسم الثالث يشمل منطقة الاوراس الذي أصبحت منطقة أعمال منظمة .

لكن البصائر لم تشر إلى نداء البشير الإبراهيمي و الورتيلاني في 15 نوفمبر1954م الذي يدعوا إلى الكفاح المسلح فهل هو عدم رضا عن الإبراهيمي أو تفادي سخط الإدارة الفرنسية و بالتالي فهو رأي شخصي[2] .

و الملاحظ أن اعتراف بإمكانية استمرار الحوادث ، لكن عدم معرفتها بقيادة الثورة واضح في هذا العدد لأنها ظنت في بداية اندلاع الثورة 1 نوفمبر 1954م أنها من تدبير حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، لكنها تراجعت عن ذالك بعد حل الحزب و سجن قيادته دون أن يغير من الأمر شيئا و بالمقابل تعترف بالصيغة السياسية التحريرية لهذه الحركة الجديدة[3] و تقف ضد دعاية السلطة بان الحوادث مصدرها مشاكل اجتماعية و اقتصادية فقط بقولها : فهل يكفي في معالجة الحالة أن يقول مانديس فرانس[4]: " إن الجزائر قطعة من فرنسا ..." أم هل يكفي أن يقول وزير الداخلية متران:" إن الجزائر فرنسية..." و انه ليس في الجزائر مشكل سياسي، إنما هناك مشاكل اجتماعية و اقتصادية..."

---

[1]– احمد توفيق المدني ، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص20.

[2]– المصدر نفسه ، ص 21.

[3]– محمد الطاهر الفضلاء، التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح ، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984، 114.

[4]– جريدة البصائر، **مقال**: " لنجابه الحقائق بالحكمة و العقل، ع 293، يوم 19 نوفمبر 1954م، ص1.

فالبصائر تؤكد على إن هذه التصريحات لا تحل مشكل الجزائر بل تعقده أكثر ، وإنما يكون الحل حسب رأيها ينبذ سياسة البطش و التنكيل و إلقاء القبض على المتهمين أولا ثم بالإسراع في دراسة الأسباب هذه المشكلة و معالجتها بتغيرات جذرية ترضى الجميع أي بتحقيق مطالب الجزائريين بمن فيهم أصحاب الحوادث و ترجمت البصائر : على (سيرفى _ servies[1]) المتخصص في علم الاجتماع الذي صرح بان الثورة سببها هو جمعية العلماء المسلمين لأنها ايقضت العقول و قضيت على نفوذ الطرقين و جعلت الأمة تخجل من عاداتها القديمة ، هذه الحالة التي مكنت الثورة من العمل بنجاح و تنفي أي علاقة للجمعية بالحوادث [2].

ومن الواضح أن العلماء إرادتهم الابتعاد عن هذه الأحداث لأنهم لم يشاركوا فيها و من جهة ثانية لا يريدون أن يكون ضد الثورة التي طالما نادى بها الإمام عبد الحميد ابن باديس و كانت من أهداف الجمعية [3].

و المتتبع لأعداد البصائر إلى نهاية 1954م يلاحظ أن هناك سرد للحوادث ، فالعدد 294 ليوم 26 نوفمبر 1954م كانت افتتاحية بمقال عنوانه " كلا لا يجب أن تنتصر الرجعية" فقد ركزن على زيارة وزير الداخلية (ميتران فرانسوا _ François Mitterrand) و تتساءل عن مدى جديته في إيجاد الحلول فيقول[4] : " فإذا كان ميتران يريد حقا أن يجابه الحقائق و أن يبحث عن الأسباب و أن يجد طرق العلاج فليعتقد الاعتقاد الراسخ أن المشكل الأساسي الجزائري هو المشكل السياسي "

---

[1]– هو ضابط متخصص في الانثروبولوجيا يتقن العربية و اللهجات المحلية ، كانت مهمته التعرف على اهتمامات الناس.**انظر:** جريدة البصائر، **مقال:** " لنجابه الحقائق بالحكمة و العقل، ع 293، ص 7.

[2]– المصدر نفسه ، ص8.

[3]– المصدر نفسه، ص10.

[4]– جريدة البصائر، **مقال:** " كلا لا يجب أن تنتصر الرجعية "، ع 294، يوم 26 نوفمبر 1954م، ص 1.

أما العدد 296 يوم 10 ديسمبر 1954م فقد تحدثت البصائر[1] عن قضية الدين الإسلامي ووضعه في الجزائر ، محذرة المجلس الجزائري من استغلال الوضع و الظروف المحرجة لتمرير بعض القوانين المضرة بالدين الإسلامي و إبعاده عن الواقع هي من أعظم الأسباب النقمة الشعبية و الغضبة القومية ومن أهم الأركان التي قامت عليها حالة الأزمة الجزائرية التي لا يعرف أي إنسان أيان تنتهي و كيف تنتهي .

و تتحدث البصائر مرة أخرى في العدد 298 يوم 24 ديسمبر 1954م عن حوادث نوفمبر و تفند ما روجت له السلطة الفرنسية ، إن الأمور صارت في يد السلطة و إن الثائرين قد أصبحوا مطاردين في كل جهة ، بل بالعكس فالحالة كما تقول البصائر تزداد تأزما في الكثير من جهات القطر الجزائري ، و الحل يكون بنظرة واقعية تشترك فيها الحكومة الفرنسية و رجال الأمة الجزائرية و إيجاد حلول تحظى بقبول و رضا سائر الجزائريين [2].

و الواضح أن البصائر سردت الأحداث لكن هذه المرة فيه تلميح إلى قوة الثورة و الإشارة إلى حل سياسي يرضى بها سائر الجزائريين و هو الاستقلال عن فرنسا ، و في ظل نشاط الحركات التحررية و بحث هذه البلدان عن حريتها فالجزائريون أيضا كانوا يبحثون حريتهم لكنها لم تصرح به مباشرة تفاديا لغضب السلطة الفرنسية[3] .

و في العدد 299 يوم 31 ديسمبر 1954م الصفحة 7- 8 تحت عنوان :"يوميات الأزمة الجزائرية " فيها أهم العمليات التي قامت بها السلطة العسكرية من اعتقالات و مداهمات و دوريات ، و في عددها 322 ليوم 10 جوان 1955م نجد أن الافتتاحية جاءت بعنوان : "هل تسير القضية الجزائرية في طريق الحل " و التمعن جيدا فيما نقلته البصائر رغم أنها لا زالت تتكلم عن الحل السياسي يجد أن هناك دعاية للثورة [4].

---

[1]-احمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، المصدر السابق، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ص 34.

[3]- المصدر نفسه، ص33.

[4]- المصدر نفسه، ص35.

وبعد هجومات 20 أوت 1955م في الشمال القسنطيني و بالنظر إلى التطورات التي حدثت لأنه انتصار كبير للثورة و سيكون المنعرج الحاسم في توحيد الصفوف و الاقتناع بالكفاح المسلح و الأعداد المقبلة للبصائر ، و في 7 جانفي 1956 كان التأييد المباشر لجبهة التحرير الوطني [1].

لكن إن تحدثنا عن عدم وضوح موقف البصائر في الأعداد التي ذكرناها سابقا فهو إما تخوف من سخط الإدارة الفرنسية وذلك بالتعجيل بحلها و مصادرة صحافتها و ربما ملاحقة أعضائها بالزج بهم في السجون و دليلنا في ذلك بعدم نشر بيان لنداء 3 نوفمبر 1954م للفضيل الورتيلاني ثم نداء الثاني للشيخ البشير الإبراهيمي و الفضيل الورتيلاني في 15 نوفمبر 1954م فنشرها لهذين النداءين هو مباركة لثورة و أكيد سيعرض جمعية العلماء للحل و المتابعة ، و هو ما كانت تتفادى إدارة الجمعية في الداخل[2].

والملاحظ أن هناك الكثير من الإيحاءات في بعض الافتتاحيات من إعداد البصائر فنحن ذكرناها لان صاحبها يريد أن يعطي صبغة شرعية للعمليات المسلحة لان ما قامت به هو هدف من أهداف الجمعية و مؤسسها الإمام عبد الحميد بن باديس فهدفه القريب كان تأليف الرجال ، أما البعيد فهو الاستقلال ، و حسب أبو قاسم سعد الله[3] : " فالمهم أن جمعية العلماء فتحت صدر جريدتها (البصائر) لأخبار الثورة التي أسمتها في البداية (أزمة) و أصدرت افتتاحية ساخنة و تعاليق تتضمن ما قبل في الثورة و تصريحات رجالها ".

[1]– احمد توفيق المدني ،حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص 64.

[2]– المصدر نفسه، ص 412.

[3]– أبو قاسم سعد الله ، خلاصة الجزائر المقاومة و التحرر (1830– 1962) ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2007، ص 170.

المطلب الثاني: موقف إدارة جمعية العلماء في الداخل من اندلاع الثورة

بعد تطرقنا لموقف جريدة البصائر من خلال بعض أعدادها في الأشهر الأولى لاندلاع الثورة و التي رأينا أنها كانت متذبذبة و عبرت عن تيارين ثوري و سياسي و لكن لم تعبر صراحة عن موقف إدارة جمعية العلماء من اندلاع الثورة في غياب رئيسها الذي عبر عن مساندته للثورة ، و يرى أبو قاسم سعد الله بحكم طبيعة نضالها و رجالها اقرب إلى الثورة من غيرها ماعدا حزب الشعب ، فقد هيا الذهنيات ، وايقضت المشاعر بمبادئها و نشاطها ، و بالنظر إلى الأزمة التي عرفتها سنة 1954م إضافة إلى غياب رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي لم يكن لها أن تبدي موقفا واضحا من جبهة التحرير الوطني [1].

أما عن موقف إدارة الجمعية في الداخل على المستوى الرسمي فالعلماء حسب تلامذة الجمعية لم يكونوا ضد الثورة و أن التفكير الثوري كان في ذهن مؤسسها الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الوطنية[2] .

1-لقد ذكر احمد توفيق المدني في مذكراته :

انه يعلم بالثورة فكتب [3]: "علمت بعد أيام من احد موقدي النار الثورة أنها ستقع يوم غرة نوفمبر وأقسمت له يمينا صادقا أنني لا أبوح باسمه لأحد و لا أتكلم عن ذلك الموعد لأحد إلا إنني أردت أن تكون جمعية العلماء مستعدة لتكون أول من يستجيب لذلك النداء و أول من يدفع رجاله و شبابه في ميدان التضحية و الاستشهاد"

[1]- احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق ، ص400.

[2]- المصدر نفسه ، ص408.

[3]- المصدر نفسه ، ص411.

و يضيف [1]: " فدعوت رجال الجمعية لعقد الاجتماع الإداري بمدينة قسنطينة ، قررنا بإجماع :إننا مع الثورة و بعثنا لكل رجالنا و شبابنا قرارنا هذا جاءت الساعة التي حددها الله ، فإلى الميدان الشريف إلى الشهادة ا والى النصر ."

و لهذا قال[2]: " رأينا من الثورة و مع الثورة و لا يمكن إطلاقا أن لا نكون مع الثورة ، مع الحذر التام ."

لكن عبد الرحمان بن العقون ذكر في مذكراته انه و في لقائه مع الشيخ خير الدين نفى هذا الأخير ما قاله توفيق المدني فقال[3]: " كل الذي ادعاه توفيق ليس له أساس من الصحة فما كان احد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئا قبل اندلاعها التوفيق و لا غيره يعلم ... ، كما أن توفيق لم يكن الداعي إلى اجتماع المجلس الإداري لجمعية العلماء ، وإنما المجلس الدائم هو الذي دعي إلى اجتماع بقسنطينة ... كغيره من الاجتماعات انعقد في دورة عادية ، و ليس له أية صلة بالثورة التي بدأت في نفس اليوم ."

و يضيف عبد الرحمان بن العقون تعليقا على احمد توفيق المدني إن إدارة الجمعية لم تكن تعرف بأنها ثورة إلا من خلال جريدة la dépêche القسنطينية فتقول[4] : " هذا الاجتماع الذي انعقد في صباح يوم فاتح نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل علينا موظف من موظفي الدار و بيده جريدة la dépêche القسنطينية و منها علمنا أول أخبار الثورة المنفجرة في منتصف الليل ذلك اليوم "

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص 412.

[2]– المصدر نفسه ، ص 112.

[3]– عبد الرحمان بن العقون ، المصدر السابق، ص.ص 510–511.

[4]– المصدر نفسه، ص 512.

2-**موقف العربي التبسي من الثورة** :

حسبما يذكر الحسين مبعوث عبان رمضان إلى التبسي انه[1] :"... حين فاتحت العربي البسي في الموضوع الذي جئت من اجله ، قال لي بأنه مستعد لتنفيذ كل ما تام ربه الجبهة و انه مؤمن بان الكفاح المسلح هو اسلم و اقصر طريق للتخلص من الاستعمار "

لما وصل التبسي إلى الجزائر بعد أدائه لفريضة الحج في أكتوبر 1954م استبشر خيرا إذ وجد نفوس الأمة الجزائرية مستعدة للانفجار ، فاخبرهم بقوله [2]: " أن القوم يرون وجوب الخيار بين اثنين : إما الثورة و الكفاح المسلح، و إما الإعلان مع الاستعمار بان الجزائر غربية ليست عربية و لا إسلامية "

و عليه فالثورة هي الحل الوحيد و لذلك بمجرد علمه لاندلاعها أعلن تأييده لها و الدعوة إليها في مجالسه الخاصة بالجهاد في سبيلها بالنفس و المال ، و في هذا قال [3]: " نقلوا عني ، و بلغوا كل من لقيتم ممن تعرفون ،أن كل هجرة من الوطن إلى خارجه تعتبر مروقا من الدين و خيانة للوطن ، ما لم تكن في مهمة كلفت بها جبهة التحرير ."

إن موقف التبسي لم يكن مجرد موقف سياسي يعبر عن قبول الثورة و تأييدها و تدعيمها ، بل موقفه (فتوى) نقول ليس فقط للأمة و إنما لأولئك اللذين يريدون أن يقوموا بالثورة بالمراسلة مع الاستقرار في باريس ،جونيف، بروكسل، القاهرة، إن ساعة الجهاد قد حانت ، و أن النفير في سبيل الله قد أعلن و لن يتخلف إلا منافق أو خائن أعطى ولاءه لغير الله و رسوله و لغير المؤمنين ، أما استشهاده إلا نتيجة حتمية لمواقفه[4] .

---

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1921- 1975)، ط1 ، ج2 ، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1976، ص69.

[2]- المرجع نفسه ، ص70.

[3]- المرجع نفسه ، ص71.

[4]- أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر ، المرجع السابق، ص169.

و يروي احد ممن عاصروا التبسي و هو سالمي بلقا سم الثغراوي احد رجال جمعية العلماء قائلا[1] : " أرسلت السلطات الفرنسية إلي مبعوثا يقترح على الجمعية إن فرنسا تريد إقرار مبدأ فصل الجزائر عن فرنسا " ، فرد عليه سالمي قائلا: " فقلت له : يا أستاذ إن هذه الكلمة لا شك أنها قاتلتك ... فاخرج من الجزائر ".

فرد عليه التبسي : " إن خرجت أنا فمن يبقى في الجزائر و رغم ما عرف عن التبسي من تأييده للثورة و عمله مع عبان رمضان و اتصاله به أكثر من العناصر الأخرى الذين أصبحوا في مجلس الثورة إلا أننا لا نلاحظ أي نشاط له في المراكز الحساسة و لعل اعتداده بنفسه و تصلبه الذي عرف به ، من الأسباب الرئيسية التي جعلته لا يختار في مجلس الثورة أو في وفدها الخارجي لأنهم كانوا يفضلون العناصر التي تقبل التوجيهات و يسهل الحوار و المناقشة معها أما رده بأنه كان يرفض الخروج من الجزائر فكان ذلك ردا على بعض عناصر العلماء الذين غادروا الجزائر ، و عندما اتصل به العربي بن المهيدي و طلب منه أن يخرج من الجزائر لأنه مستهدف من قبل الفرنسيين أجابه بأنه[2] : " إذا كان الخروج لقيام بمهمة لجبهة التحرير فانه مستعد لذلك ، أما لمجرد الهروب من الموت فانه يعتبر ذلك قرار من الزحف . "

لذلك فضل البقاء في العاصمة التي رحل إليها سنة 1956م ليباشر أعماله السابقة الإرشادية و التوجيهية في المساجد وضمان سير مدارس الجمعية [3].

[1]– عبد الرحمان بن العقون، المصدر السابق، ص 512.

[2]– احمد بن دياب ، العربي التبسي و النهضة العلمية في الجزائر ، مجلة الأصالة، ع8، ماي– جوان 1972، ص271.

[3]– أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر، المرجع السابق ،173.

3-رد فعل خير الدين من الثورة التحريرية :

أكد خير الدين بان العلماء لم يكونوا على علم بهذه الأحداث إلا من خلال الصحف الفرنسية ، ففي اجتماع بمعهد ابن باديس أكد أن هذه الحوادث ما هي إلا بداية للثورة حقيقية ، مفندا ادعاءات الصحافة الفرنسية من جهة و مزاعم احمد توفيق المدني القائلة [1]: " بأنه كان على علم بموعد اندلاع الثورة التحريرية من جهة أخرى "

و عن تأييده للثورة يقول[2]: " إن جمعية العلماء لا تريد أن تعتبر عدوا للثورة كما لا تريد أن تتحمل مسؤولية عمل لم تشارك فيه ، كما حدث في ماي 1945م مشيرا إن قيادي الثورة لم يستشيروا الجمعية في إعمالهم و هذا قد يفشل الحوادث".

و يشير الميلي أن خير الدين لم يكن متحمسا في بداية الأمر للثورة حتى انه نهر الذين اتصلوا به في شان الثورة قائلا[3]: " انتم مراهقون فلا شيء في الجبال غير الذئاب و العرعر ." ، و يستدل ذلك بمشاركته في المفاوضات التي تمت مع الوالي العام جاك سوستيل في ماي 1955 ، إذا كان سوستيل ممثل فرنسا يبحث عن مخرج يبقي فيه الجزائر فرنسية و يوقف الكفاح المسلح في آن واحد ، أما المفاوضون الجزائريون فكانوا يرغبون في الحصول على بعض الحقوق و الضمانات للحصول على ما أسموه بالإصلاح ، فقد انتهت المفاوضات دون أية نتيجة ايجابية تذكر ، و هذا ما جعل جبهة التحرير تضع اسم خير الدين ضمن قائمة المحكوم عليهم بالقتل [4].

---

[1]- محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 130.

[2]- المصدر نفسه، ص 135.

[3]- محمد طاهر الفضلاء التحريف و التزييف في حياة كفاح، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984، ص 113.

[4]- المرجع نفسه، ص114.

لكن المصادر تذكر انه عفي عنه بتدخل من عبان رمضان شريطة الدخول فرادي إلى الجبهة ، و في هذا الصدد قال خير الدين للشيخ حسين الميلي مبعوث عبان رمضان باسم جبهة التحرير ، عندما طلب منه إعادة مادية [1]: " إننا لا نريد أن نعتبر أعداء , و لكننا حين تحالفنا في ماي 1945م مع حزب الشعب في إطار منظمة أنصار البيان و الحرية ، دفعنا ثمن تصرفنا هذا ، لكن اليوم الوضع يختلف أننا لسنا طرفا فيما وقع ، لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم .

أما عن موقف علماء الجمعية بالخارج على المستوى الفردي ، فبمجرد اندلاع الثورة ، فتحت الجمعية مجال الانتماء لأعضائها إلى أي حزب سياسي وطني يرغبون أما لحزب البيان أو لحركة الانتصار ، أو الوقوف على الحياد ، على أن لا يضر ذلك بالجمعية و لا يؤثر على مواقفها ، و على هذا الأساس وجدنا اختلافا واضحا في الرؤى السياسية الفردية لأعضاء الجمعية و خاصة في الخارج [2].

1-فكان رد فعل الإبراهيمي من الثورة :

تعتبر الثورة التحريرية في فكر الإبراهيمي مرحلة مميزة ، فلا تكاد كتاباته تخلوا في فترة (1954_1956) من الحديث عن فلسفة الثورة و الدعوة إليها وبيان سبل نجاحها ، ولعل من السلبيات الكتابة عن الثورة باعتبار الثوريين هم من حملوا السلاح فقط ، كما قال أبو قاسم سعد الله[3] :" لان هناك من كان ثوريا و لم يحمل السلاح ، و كان الناطق الرسمي باسم الذي حملوه و لولاه لبقي الثوار في حصار مادي ، سياسي ، و معنوي قاتل ."

[1]– محمد خير الدين ،المصدر السابق، ص 136.

[2]– جريدة البصائر، ع 302، 21 جانفي 1955، ص1 .

[3]– أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر، المرجع السابق، ص 6.

كان الإبراهيمي مقتنعا أن إعلان الجهاد من غير إعداد شعب هو إلقاء به في التهلكة لذلك رأى أن الجهاد هو أهم إعداد لتحرير عقول الجزائريين و نفسيتهم ولا شك إن تحرير العقول أصعب من تحرير الحقول ، و في هذا يقول سعد الله[1]: " إن جمعية العلماء كانت في الطليعة الثورية بمقياس تلك الفترة ، و إن رئيسها محمد البشير الإبراهيمي كان لسانها البليغ المعبر عن توجهانها و عقيدتها ، في وقت كانت فيه الأحزاب و قادتها تشهد تراجعا ."

في الوقت الذي اندلعت فيه الثورة كان الإبراهيمي في باكستان لذلك لم يكن له إلمام كامل بالحالة و في رسالة بعث فيها المدني للإبراهيمي اخبره من خلالها على ما يجري في الجزائر ، و ابلغه أن الثورة العارمة على الغاضبين قد انطلقت و أسندت قيادتها إلى جبهة التحرير الوطني طالبا منه أن ينشر بيانا يبارك الثورة فيه باعتباره رئيسا للجمعية حين قال [2]: " أما وقد انضممنا نحن للثورة بقضيتنا و سارت مواكب من شبابنا و شيوخنا تتصدر المعركة أو تتوسطها ، فأرجوك يا أستاذي الجليل ، أن تفجر من ينبوع فكرك الصافي موردا عذبا يشفى غلة الأمة الصادقة و أن تنشر باسمك و بوصفك رئيسا للجمعية منشورا عاما يبارك الثورة وبمجدها و يدعو الأمة للمشركة. "

و فور وصول الإبراهيمي إلى القاهرة حتى بادر إلى إصدار بيان في 2 نوفمبر و لعله أول من أيد الثورة قبل غيره، جاء فيه[3] : " أما نحن المغتربين عن الجزائر فوا لله لكانما حملت إلينا الرياح الغربية ، حين سمعنا الخبر، روائح الدم الزكية فشارك الشم الذي نشق ،السمع الذي سمع ، و البصر الذي قرأ ، فيشتاق من ذلك إحساس مشبوب يصيرنا ، و نحن بالقاهرة و كأننا في مواقع النار من خنشلة و باتنة ، "و عزز هذا البيان ببيانين آخرين من مكتب الجمعية الأول بتاريخ 3 نوفمبر 1954م و الأخر 11 نوفمبر 1954م جاء فيه: "و مضى على الثورة عشرة أيام و نحن نحترق شوقا إلى أي اتجاه تتجه؟ و هل انتشرت...؟

[1]– أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر، المرجع السابق، ص 8.

[2]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج5 ،المصدر السابق، ص 37.

[3]– المصدر نفسه، ص6.

من خلال هذه البيانات الثلاث ندرك دعوة واضحة و صريحة لتوحيد الصف وعدم التراجع و الاستمرار في الثورة حتى تتحقق مطالب الشعب الجزائري، والغريب أن الإبراهيمي أيد الثورة من دون أن يعرف من أي مصدر كانت، وهذا دلالة على أن الإبراهيمي مع الثورة مهما كان مصدرها أو جهتها[1].

إن تريث علماء الداخل في التأييد العلني للثورة ، إن لم تكن تلك مناورة يقصد منها تجنب الاصطدام مع فرنسا على أساس أن الجمعية هي المكون الوحيد دورها أن على الصعيد السياسي أو الصعيد الاجتماعي ، له ما يبرره: فقد جاءت وثيقة إعلان الثورة خالية من البسملة و الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد و الاستشهاد في سبيل الله و الوطن[2] .

2-ردة فعل الورتيلاني من الثورة:

فهو يعد من أوائل رجال جمعية العلماء الذين أيدوا الثورة ببيانات منشورة ، إذ و بعد يوم واحد فقط من اندلاعها ، اصدر مكتب الجمعية بالقاهرة بيانا يؤيد فيه الثورة بإمضاء الورتيلاني و الإبراهيمي ، و في 3 نوفمبر 1954م اصدر الورتيلاني بيانا آخر في الجرائد المصرية و غيرها نشرته البصائر جاء فيه [3]: " إن الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت ، بقاء أو فناء ن حياكم الله أيها الثائرون الأبطال و بارك في جهادكم و أمدكم بنصره و توفيقه و كتب ميتتكم في شهداء الأبرار و حبكم في عبادة الأحرار لقد أتيتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق ، أيها الأحرار الجزائريون ، أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي اعلم وان الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا فرضه عليكم دينكم و فرضتكم قوميتكم و فرضته رجولتكم لأنكم هنا أمام أمرين إما حية أو موت ، إما بقاء كريم أو فناء شريف ."

[1]– أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر ،المرجع السابق ، ص20.

[2]– احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج2 , المصدر السابق، ص 18.

[3]– جريدة البصائر، ع 208، السلسلة الرابعة، بتاريخ 11 أكتوبر 2004، ص 3.

كما يذكر محمد طاهر الفضلاء أن الورتيلاني بعث له برسالة يرسلها إلى ابنه المسعود حسين في معهد ابن باديس يأمر بضرورة الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني الأمر الذي دفع فضلاء القول له [1]: " لا تؤاخذني يا سيدي أن أقول لك من قبل لعمر الفاروق : اتق الله فلا خير فينا إن لم نقلها و لا خير فينا إن لم نقبلها ، هذا ابنك عاش طفولته كاليتيم لا يعرف شكلا لأبيه إلا من خلال الصورة ، و هو الآن يطمح إلى أن يكون طالبا هنا بالقاهرة، نحن رعايتك و توجيهك فلا تحرمه من هذه المكرمة ، التي تعود عليه و على أمته بالنفع العميم..."

فرد عليه الورتيلاني بقوله [2]: " لا ....، فالسيف الآن اصدق أنباء من الكتب ... لقد كنا ندعو إلى العلم ، و إلى التعليم ، حين كنا نعد العدة لهذا اليوم ، أما وان الأمة الجزائرية أدركت واجبها وفتحت واجهتها للجهاد و الكفاح المسلح ، فان على كل أبناء هذه الأمة أن يحمل ما أمكنه من السلاح ، ليخوض به المعركة و يكتب بدمه آخر سطر من سجل الجهاد المقدس فوق تربية الوطن ، و إذا كان الحسين ابني كما تقول له ، من دمه خصائص أبيه فما عليه إلا أن يبادر بإراقة دمه على تربية وطنه ...و حينذاك يمكنني أن أغمض عيني هانئا عندما يحين اجلي باني ختمت حياتي و رسالتي بأحسن ما يختم به امرؤ حياته ."

[1]– محمد طاهر الفضلاء ، التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح، المرجع السابق، ص 121.

[2]– الفضيل الورتيلاني ، الجزائر الثائرة، د.ط، د.م.ن، بيروت ، لبنان ، 1963، ص 170.

المطلب الثالث : موقف الإدارة الفرنسية من انضمام جمعية العلماء للثورة التحريرية

لقد كان لانضمام جمعية العلماء للثورة و تأييدها لجبهة التحرير الوطني الأثر الواضح في توسيع قاعدة الثورة بالنظر إلى مكانة الدينية التي كانت تحتلها الجمعية[1] ، و قد احدث بيان 7 جانفي 1956م كما ذكر احمد توفيق المدني دويا صارخا و يصف لنا الفعل الأولي للحكومة الفرنسية فيقول [2]: "... و قامت قيامة الحكومة الفرنسية و اخذ رجالها يتلاومون على هذه الحرية الصحفية التي تركت لجريدة البصائر ، و قرروا منذ تلك الساعة تشديد حلقات الرقابة بحيث يجب أن تعرض عليهم النسخة من البصائر كاملة قبل طبعها ..." .

فالتخوف كان كبيرا من العلماء و إذا رجعنا إلى الأشهر الماضية أي منذ اندلاع الثورة نجد أن المواقف كانت متعددة فخناك من طالب بحل جمعية العلماء و سجن أو تصفية زعمائها و تعطيل أعمالها ، خاصة من المعمرين و القادة العسكريين و خبرائهم السياسيين ن و لكن السلطات الفرنسية السياسية و خاصة الوالي العام جاك سوستيل الذي كان يبحث عن قوة ثالثة منافسة لجبهة التحرير تمثل الجزائريين ، عارضوا هذه الفكرة لان أي تصرفات ضد أعضاء الجمعية ستؤدي بهم إلى الانضمام الكلي لجبهة التحرير[3] .

---

[1]- Mohamed harbi,une vie debout, mémoire politiques, tome 1, (1954- 1962), casbah ,Edition, Alger,2011, p141

[2] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص 36.

[3]– المصدر نفسه، ص38.

و يتضح هذا من خلال بعض عمليات التوقيف و السجن التي مست بعض معلمي الجمعية ممن تؤكد مساندتهم للثورة و غلق بعض المدارس التي استعملت لصالح الثورة دون المساس بجمعية العلماء و لا قيادتها بأي سوء و يبدو أن سوستيل كان يهدف إلى إنجاح المفاوضات التي بدأها مع بعض السياسيين الجزائريين و منهم خير الدين و المدني عن جمعية العلماء وبالتالي استمر في سياسته مع جمعية العلماء ربما لوضعها كطرف موازن أو مناوئ لجبهة التحرير الوطني [1].

و الواقع أن طريقة تعامل السلطة الفرنسية مع جمعية العلماء استمرت رغم أن الجمعية أعلنت تأييدها لجبهة التحرير و التحق الكثير من أعضائها بجيش التحرير ، و رغم أن الوالي العام جاك سوستيل فشل في سياسته و فشلت مفاوضاته خاصة بعد هجوم 20 أوت وقد استبدل بآخرين لكنها ستبقى تستغل مواقف جمعية العلماء لهدف ضرب جبهة التحرير الوطني [2].

و الحق أن بيان التأييد الذي أصدره مكتب جمعية العلماء في اجتماعه 7 افريل 1956 قد كان واضحا مما لا يدع الشك لأي تأويل ، فقد قامت بداية الإدارة الفرنسية بحجز أعداد البصائر التي حملت ذلك البيان ، وقد استنكرت البصائر ذلك في صفحاتها فقد كتب في العدد 351 " البصائر تحجز و المعركة مستمرة " ما يلي [3]: " هل الإدارة و راعها أن تعمد البصائر في عددها السابق لتقول الكلمة الحق التي تعبر عن شعور الجزائريين ...فأصدرت أوامرها بحجز البصائر حيثما وجدت وطاف الأعوان على الباعة ... و قد صودر العدد في جهات أخرى عديدة من القطر الجزائري."

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص40.

[2]– المصدر نفسه ، ص 42.

[3]– جريدة البصائر ، **مقال**: " فأخذتهم الصيحة" ، ع 351، يوم 27 جانفي 1956، ص 1.

لقد كان تخوف الإدارة الفرنسية من تأييد العلماء للثورة لأنه أول تأييد ديني رسمي للثورة و اعتبرته بداية لحرب دينية مقدسة ، لذلك حاولت من خلال صحافتها و إذاعتها الموجهة للجزائريين أن تحول مجرى الأحداث أو تعكس ما جاء في البيان على أساس أن العلماء ما زالوا معارضين لجبهة التحرير و يعملون تحت القانون الفرنسي و يدعون إلى احترامه و استدلت ببعض فقرات البيان لكن بطريقة مغلوطة ن و أهملت كل فقرات البيان و ركزت على ما جاء في نهايته و الذي دعت فيه جمعية العلماء الشعب الجزائري إلى الصبر و الوحدة و التآزر للحصول على حقوقهم و حسب الإدارة الفرنسية فهي دعوة من جمعية العلماء لإلزام الهدوء و طاعة السلطات الفرنسية [1].

و من خلال رد فعل بعض الصحف نكتشف مدى أهمية بيان التأييد الذي أصدرته الجمعية ، و قد ذكرت البصائر في العدد 351 بعض الآراء لأهم الصحف فكتبت[2]: " أما الصحف الكبرى فقد خصته بعناية هو حقا جدير بها فمنها ما نشر اغلب بنوده ، و علق عليها بما يوافق مش ربه و ما يرضى هوى قرائه ، و منها من اكتفى بنشر التعاليق الإضافية التي لا تزال تتوالى ."

و ذكرت جريدة البصائر أن جريدة le monde أهملت فقرات البيان الذي يتعلق برأي الجمعية في المستقبل حية الجزائر و أسباب الثورة مذيلة البيان بكلمة ترضى المتعصبين من قرائها و المحافظين من رجالها فقالت [3]: " إن جمعية العلماء الإصلاحيين كانت قبل تتجنب خوض المعامع السياسية ، حتى إذا ما جابهتها عمدت إلى الكثير من الحيطة و الحذر و لكنها اليوم باستعمالها لحجج شديدة و قاسية ،ويجهلها للتاريخ حين جعلت احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م هو أصل البلاء و الشقاء ن فقد أفقدت بلاغها شيئا من قوته و لا يمكن لإنسان أن يتغافل عن الواقع الملموس و ينكر ما توقع في البلاد الجزائرية من أعمال صالحة يشهد بها كل المسلمين المنصفين . "

---

[1]– جريدة البصائر ، **مقال**: " فأخذتهم الصيحة" ،ع 351 ، المصدر السابق، ص 2.

[2] – المصدر نفسه ، ص 2.

[3]– المصدر نفسه، ص3.

و تضيف أيضا جريدة البصائر أن جريدة " الاكسبريس " ما إن تلقت البلاغ حتى علقت عليه و قالت [1]: " إن جمعية العلماء التقية الورعة كانت تتحاشى قبل اليوم دخول الميادين السياسيةّ ، و تجعل كفاحها العنيف خاص بالميادين الدينية ، لكنها نشرت اليوم بلاغا لا نستطيع أن نفهم ما فيه من شدة و عنف ، إلا متى فهمنا الجو الذي تلاطمت فيه أمواج العواصف و الأهواء بالقطر الجزائري ."

و يبدو أنها أعطت أهمية كبيرة للبيان بقولها[2]: " إن هذا البلاغ الذي نشره العلماء له أهمية عظمى ، لأنه يعتبر أول تأييد ديني رسمي للثورة الجزائرية ن و إن الدوائر الرسمية في الجزائر لا تخفي ما لهذا البلاغ من أهمية ."

و من خلال هذه الآراء التي نشرتها الصحافة الفرنسية علقت عليها البصائر بأنها عرض فقط كما قالته و ليس ردن لان الرد قام به مكتب الصحافة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث راسل الصحف التي وقعت في الخط أو تعمدت ذلك[3] .

لقد حاولت الحكومة الفرنسية الإيقاع بجمعية العلماء في موقف قد لا تستطيع الخروج منه فهي لم تقف بحل الجمعية ربما لكسب ودها ما دام أن هناك من شارك في المفاوضات التي قام بها جاك سوستيل ، و بالتالي الأمل لا زال قاما في خلف قوة أخرى موازية لجبهة التحرير ، ومن جهة ثانية هاجمت الجمعية من خلال أشهر الصحف الفرنسية على أساس أن الجمعية غير مؤيدة للثوار و أن العلماء مفاوضين صالحين و ذلك بهدف إسقاط خرافة الحرب الدينية التي أخافت بعض الفرنسيين ، وكانت واضحة في بعض تعليقات الصحف الفرنسية نو بقيت السلطات الفرنسية مصرة على إبعاد العلماء عن جبهة التحرير[4] .

---

[1]– جريدة البصائر ، **مقال**: " فأخذتهم الصيحة" ، ع 351، المصدر السابق، ص4.

[2]– المصدر نفسه، ص5.

[3] – المصدر نفسه، ص 6.

[4]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص41.

و في حادثة أخرى فهي أن الحكومة الفرنسية أذاعت عبر صحفها و إذاعتها خبرا مفاده أن جمعية العلماء ستشارك في وفد استقبال رئيس الحكومة (غي موليه– Guy mollet) الذي سيزور الجزائر ، فاتصلوا بالكاتب العام لجمعية العلماء احمد توفيق المدني الذي رفض ، و قد أكد هذا في مذكراته على أساس أن الإدارة الفرنسية اتصلت به عن طريق الهاتف ، فرفض لأنه غير مخول لذلك ، و بعدها بثلاثة أيام أرسلوا إليه شخصا ليقنعه بالفكرة على أساس الصداقة التي تجمعهما كونه جزائري و شاعر و صديق ، فرفض المدني و قال [1]: " اسمع يا أخي ن هل ميسيو مولي يعرف أن في الجزائر ثورة ؟ قال : مشدوها بلا ريب ؟ قل : و هل يعرف أن لهذه الثورة قيادة ؟ قال : لا شك في ذلك ، قلت : و هل يعرف من هم قادة الثورة أو بعضهم على الأقل ؟ قال :اعتقد انه يعرف ، قلت[2] : إذن يا أخي قل إنني شخصيا لست مسئولا عن الثورة ، و ما أنا من قادتها ...، و إن حل القضية يقع بواسطة مفاوضات بين الجانبين وعندئذ يتصل بالقادة ..."

ولكن الحكومة الفرنسية أذاعت في صحافتها و إذاعتها أن العلماء قد استقبلوا غي مولي فردت جمعية العلماء عن طريق جريدة البصائر بان ما حدث غير صحيح وأنها دعاية كاذبة و أن العلماء لم يشاركوا لا إفرادي ولا جماعيا في الاستقبالات ، و لم تتوقف الإدارة الفرنسية عن ملاحقة جمعية العلماء بسبب البيان الذي نشرته في 7 جافي 1956م المؤيد للثورة ، بل حاولت استغلال تصريحات و تصرفات قادة الجمعية بما يخدم مصلحتها كما فعلت مع بيان 7 جافي 1956 كما ذكرنا سابقا [3].

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص44.
[2]- المصدر نفسه، ص46.
[3]– المصدر نفسه، ص 47.

و لقد كان موقف السلة الفرنسية من جمعية العلماء يهدف إلى جر الجمعية إلى موقف يكون معادي للثورة و لجبهة التحرير الوطني خاصة بعد حلها و توقيف نشاطها ، فاستغلت الصحافة و الإذاعة لنسج الادعاءات و محاولة الإيقاع بأعضاء جمعية العلماء في الافخاخ ، وفي عديد المرات حاولت استمالت الجمعية و ذلك بعدم التعرض نشاطها و محاولة استدراج أعضائها كما فعلت مع الشيخ العربي التبسي و كانت ترسل تهديدات إلى الجمعية عن طريق الاعتقالات و حجز أعداد البصائر[1] .

لكن يبدو أن الجمعية من خلال الوثائق فأعضائها كانوا يؤمنون بالحرية و الاستقلال و قد تجسد إيمانهم بهذه القضية قبل بيان 7 جانفي 1956م الذي قلنا انه تأييد سياسي فقط لان قبل هذا التاريخ كان الشيخ البشير الإبراهيمي و الفضيل الورتيلاني قد أيد الكفاح المسلح منذ البداية ،كما أن بعض أعضاء الجمعية التحقوا بالثورة مبكرا و سرا ، فالمبادئ و الأهداف التي تربى عليها و نادي بها العلماء هي التي أعطت للثورة القوة و المكانة جمعية العلماء و تأييدها كما ذكرنا هو فتوى دينية مهمة في تعبئة الجزائريين لمساندة الثورة ، و انطلاقا من هذه المكانة و القوة حاولت الإدارة الفرنسية استغلالها لضرب الثورة و جبهة التحرير ، فلم تجب إلا بالإصرار و المثابرة ، وكان نتيجة ذالك الاعتقالات و الاغتيالات و الاستيلاء على مقر الجمعية و اغتيال الزعيم الشيخ العربي التبسي [2].

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق ، ص48.

[2]– جريدة البصائر، ع 361، يوم 6 افريل 1956، ص 1.

المبحث الثالث: دور جمعية العلماء في تطور الثورة الجزائرية داخليا

يتضمن هذا المبحث دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في دراسة تطور الثورة الجزائرية على مستوى الداخلي من خلال جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء و التي تتبعت مسيرة الثورة منذ اندلاعها ، و اتضح دور البصائر في بعض أعدادها التي عرفت بالثورة واهم أحداثها و تطوراتها ورد فعل السلطة الفرنسية ، حيث أعلنت الجمعية رسميا انضمامها للثورة و اعترافها بجبهة التحرير الوطني و قد ساهمت في العمل الثوري و قدموا خدمات جليلة سياسيا و عسكريا و ماديا ، ساهمت في تطور مسيرة الثورة التحريرية[1].

المطلب الأول: دور جريدة البصائر في دعم الثورة التحريرية

لقد لعبت الصحافة دورا مهما في التعريف بالثورة الجزائرية فكانت هناك العديد من الجرائد كالمقاومة و المجاهد و البصائر و غيرها ، التي كانت تطلع الرأي العام الداخلي و الخارجي على ما كان يحدث من خلال سرد أهم الأحداث و إيصال أخبار الثورة إلى ابعد نقطة ممكنة لان الهدف كان التحرر و الاستقلال[2] .

أما جريدة البصائر فقد اهتمت بالحوادث و اعتبرت نفسها قد قامت بواجبها كاملا رغم الظروف الصعبة و أعلنت لقرائها أنها ستستمر على ذلك بقولها [3]: " إننا نشهد الأمة عامة إننا كنا من الموفين بالعهود ... إننا أعطينا الأمة أكثر مما وعدناها ، سيما قد فوجئنا باشتعال النيران الحوادث الأخيرة التي احتلت المكانة الأولى من الاهتمام ، وجدت الأمة (بصائرها) في الميدان تصول و تجول ، وقد رفعت الصوت عاليا... هكذا سرنا و هكذا نسير فهذا الصوت الذي ارتفع في سبيل الله لن يخفت و هذا القلم الذي يتخذ في سبيل الوطن لن يسكت ، اللهم إلا إذا سقط شهيدا في ميدان الحق أو صريعا في معركة التحرير ..."

---

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 46.

[2]– المصدر نفسه ، ص 44.

[3]– جريدة البصائر ،**مقال:** " السنة الجديدة من حياة البصائر "، ع 316، يوم 29 افريل 1955، ص 1.

و الحقيقة أن البصائر استمرت في نهجها رغم أن ما نشرته قبل 20اوت 1955م،لم يدعوا إلى مساندة الثورة عمليا و ليس فيه اعتراف بجبهة التحرير الوطني كقيادة وحيدة و حتى الثورة في حد ذاتها حتى مؤتمر الصومام ، و قد وجد في البصائر وسيلة للدعاية للثورة خاصة بعد الاعتراف الرسمي لقيادة الجمعية داخليا بالثورة و جبهة التحرير الوطني[1].

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 47.

و يذكر احد كتاب البصائر و نقص الدعاية الثورية داخليا كانت مفقودة خاصة خارجيا تقول[1]:

" و هنا يجب أن أصارح قومي و أمتي بحقيقة مرة واقعة لا ريب فيها، و هي أن لسان دعايتنا المضادة مفقودة بالمرة، و حقائقنا الناصعة تطمس في سائر البلاد الأوربية فلا يرها و لا يسمعها احد و أعمالنا و نضالنا و صفحات بطولاتنا النادرة تشوه و تسود بأيد مغرضة غير شريفة ، فإننا معشر الجزائريين لم تكتف بإهمال الدعاية الحقة في الغرب ،بل أهملناها في الشرق أيضا و هذا ما يؤكد نقص الدعاية للثورة خارجيا و هنا نلاحظ أن هناك دعوة واضحة للعمل على نشر القضية الجزائرية في الخارج لان هذه الدعاية صارت من أهم وسائل الكفاح، و قد رأينا كيف استخدمت الإدارة الفرنسية الصحافة أثناء اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر 1954 لمحاولة التقليل من شانها. "

و الحق أن المتتبع لجريدة البصائر في مختلف أعدادها التي تزامنت مع اندلاع الثورة التحريرية أي طيلة حوالي 18 شهرا من العدد 292 إلى العدد 361 و هو آخر عدد لصحيفة البصائر حيث أوقفتها الإدارة الفرنسية نهائيا يلاحظ مدى اهتمام البصائر بالحوادث منذ اندلاع الثورة فبعد أربعة أيام نقلت الأحداث و لو أنها مأخوذة من الصحف أخرى كما ذكرت ولا يمكن للبصائر أن تعلق عليها أدنى تعليق و الحقيقة أن هناك سرد لأحداث و إبلاغ الجزائريين أن هناك عمل مسلح ، كما أن شرحها للإحداث كان بطريقة دقيقة مع استعراض أهم المناطق و كيف كان رد فعل السلطات الفرنسية[2] .

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص 117.

[2]– جريدة البصائر ، **مقال**: " حوادث ليلة الليلاء" ، ع 292، المصدر السابق ، ص 1.

لقد خصصت البصائر عدة صفحات يغطيها عمود(يوميات الأزمة الجزائرية) و فيه يتم سرد أخبار الثورة و قد بدا مع العدد 298 ليوم 27 ديسمبر 1954 و الأخبار كانت تنقلها من الصحف و الإذاعات الفرنسية و العالمية فبعد اندلاع الثورة بأربعة أيام كتبت [1]: " فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث ...ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن ثلاثين ما بين الحدود التونسية و شرقي عمالة وهران إلا أن عمالة قسنطينة و خاصة جهاتها الجنوبية ...أننا إلى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث و أسبابها ، و لكن البصائر لم تكن كما ذكرنا سابقا تعرف مصدر الأحداث و ظلت تتساءل عن ذلك إلا أن سرد الأحداث في أول ليلة لاندلاع الثورة قد خدم كثيرا الثورة و كانت دعاية لها في أوساط الجزائريين."

و إذا ما تتبعنا أعداد البصائر سنلاحظ أن هناك حالة ثورة حقيقية من خلال عمود " يوميات الأزمة الجزائرية" في الصفحة الثامنة من كل عدد و هي سرد للأحداث العسكرية و العمليات التحريرية مع تتبع للنشاط السياسي و الدبلوماسي لممثلي الثوار و جبهة التحرير الوطني ، فنشر البصائر للحوادث زاد في تأجيج لهيب الثورة و اطلاع الرأي العام الداخلي و الخارجي على أن هناك عمل ثوري و في نفس العدد تصعد البصائر لهجتها تجاه الحكومة الفرنسية نظرا لرد فعل جنودها القاسي و الشنيع في حق الجزائريين كما تبرئ الثائرين مما نسب إليهم من قتل النساء و الأطفال و التنكيل بالجثث بقولها[2]: " كما نستنكر ما نسب للثائرين من قتل النساء و الأطفال و التمثيل بالجثث فذلك مخالف لمصلحة الوطن و خارج عن تعاليم الإسلام."

كما تلصق المسؤولية بثلاثة أطراف (النظام الاستعماري و الجالية الأوربية و النظام الحكومي الجائر) و ترى انه لإيجاد الحلول يجب إزالة هذه الأسباب الثلاثة، ونلاحظ أن البصائر شجعت و أيدت الثائرين المصممين على تحقيق مطالبهم فتقول [3]: " و لعل الكثير من الخصوم كانوا يعتقدون أن أمر هذه الثورة قد آل إلى الزوال ، و أنها تسير نحو نهايتها."

---

[1]–جريدة البصائر ، **مقال**: " يوميات الأزمة الجزائرية " ، ع 298، ليوم 27 ديسمبر 1954، ص 2.

[2]– المصدر نفسه، ع 301، يوم 7 جانفي 1955، ص 8.

[3]– المصدر نفسه ، ع 302، يوم 21 جانفي 1955، ص 8.

و ما كتبت البصائر وبتركيز هو مناصرة للثورة ولو انه لم يكن مباشرة حتى أن احد أعضاء الجمعية يذهب إلى أن البصائر كانت منذ اندلاع الثورة مرآة تعكس المسيرة الجهادية بصدق و مثابرة و يجعل منها لسان الثورة "الشبه الرسمي" و الحق أن البصائر لم تقم فقط برصد أهم التطورات العسكرية من خلال ما كانت تنشره في أعدادها بل اهتمت أيضا بجوانب أخرى خاصة مع تعلق بتكذيب الافتراءات الفرنسية و محاولة تغليط الرأي العام الداخلي و الخارجي كما فعل الوالي العام سوستيل الذي وصف ما قام به الثوار بالإجرام و لا علاقة له بالتحرر و صرح بالإذاعة[1]: " يزعم الخارجون على القانون أنهم جيش تحرير وطني لكن تحريرهم عبارة عن سفك دماء جلدتهم المسلمين ، و اعتدائهم على الامنين ووطنيتهم هي طاعة الأوامر التي تصدر إليهم من الخارج ."

و تضيف أن الحركة التي قام بها الثوار ذات الطابع السياسي و لها صبغة تحريرية و أنها ليست من أعمال قطاع طرق و أن هدفها ليس الخبر و تحسين الظروف الاقتصادية و الاجتماعية فقط، بل هو تحقيق أماني الشعب الجزائري في التحرر و تقرير مصيره[2].

إن المتتبع لأعداد البصائر يلاحظ أنها اهتمت بالنشاط السياسي و الدبلوماسي لممثلي الثوار و جبهة التحرير بالخارج و تطور القضية الجزائرية في المحافل الدولية ، حيث ذكرت خبر إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة ، و لم تغفل البصائر عن تتبع مسالة عرض القضية الجزائرية في الأمم المتحدة و جهود الدول العربية خاصة ما قامت به الدول العربية مثل السعودية و العراق[3] .

[1]– جريدة البصائر ، مقال : " يوميات الأزمة الجزائرية "، ع 302، المصدر السابق، ص 8.

[2]– المصدر نفسه، ع 303، 28 جانفي 1955، ص8.

[3] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 120.

فسرد البصائر لهذه التطورات السياسية و الدبلوماسية خدمت بشكل مباشر الثورة و ساهمت في تنوير الرأي العام الداخلي و الخارجي و إعطاء أمل للجزائريين أن هناك دعم عربي و إفريقي و أسيوي للجزائر و إن القضية في طريقها إلى هيئة الأمم رغم معارضة فرنسا و انجلترا[1].

إن الأمل الذي أعطته البصائر للجزائريين بدا بريقه يظهر و ذلك من خلال استقلال تونس و المغرب نشرته البصائر في عددها 359 و جاءت الافتتاحية بعنوان "ما بعد استقلال المغرب و تونس إلا استقلال الجزائر" فقد كتبت[2]: "استبشرت الأمة الجزائرية قاطبة باستقلال القطر المغربي الشقيق...و إذا كانت تونس أخذت تسرد استقلالها...و ثلاثتهم كالجسد الواحد..." ولقد استطاعت البصائر أن توجه الرأي العام الجزائري و الفرنسي إلى قضية المعمرين على أساس أنهم هم الموجهون لسياسة الحكومة الفرنسية و استدلت على ذلك بإسقاطهم لحكومة (Edgar Faure) و معارضتهم (Guy mollet) الذي كانت سياسته مبنية على الحل السلمي و التفاوض مع ممثلي الثورة بداية من جانفي 1956[3].

لعل أهم ما وقفت البصائر إليه في دعايتها هو مناشدة الرأي العام الفرنسي و ضميره الحي تمثله النخبة المثقفة و المعروفة في الأدب و الفكر السياسي و الصحافة من اجل استمالتها لدعم القضية الجزائرية ووقف الجرائم الفرنسية في الجزائر[4].

[1]– جريدة البصائر ، ع 315، المصدر السابق ، ص 8.

[2] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 121.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 140.

[4] – احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص124.

لقد تفطنت الإدارة الفرنسية للنشاط الذي كانت تقوم به البصائر لكنها رأت انه من الأحسن أن تستميل جمعية العلماء إلى صفها ، و لما يئست خاصة بعد البيان الشهير الذي أصدرته جمعية العلماء يوم 7 جانفي 1956م و المؤيد للثورة و جبهة التحرير الوطني حاولت الدعاية الفرنسية ، تشويه البيان على أساس أن العلماء مازالوا معارضين لجبهة التحرير ، و يعملون تحت القانون الفرنسي الذي يدعون إلى احترامه و استدلت ببعض فقرات البيان لكن بطريقة مغلوطة ركزت على ما جاء في نهايته و الذي دعت فيه جمعية العلماء الشعب الجزائري إلى الصبر و الوحدة للحصول على حقوقهم وحسب الإدارة الفرنسية لكن الجمعية ردت عليها ردا صريحا على أنها مؤيدة للثورة و متفقة مع جبهة التحرير و فندت دعاية السلطة الفرنسية[1] بان جمعية العلماء شاركت في مراسيم استقبال رئيس الحكومة (Guy mollet).

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص126.

و الحق أن إعلان الجمعية رسميا انضمامها و تأييدها لجبهة التحرير في 7 جانفي 1956م الذي نشرته البصائر قد كان له دور فعال في تطور مسيرة الثورة ، و دور البصائر قد اتضح جليا بعد إعلان بيان التأييد الرسمي لجمعية العلماء بالداخل للثورة و اعترافها بجبهة التحرير الوطني[1] .

و الواقع أن البصائر استمرت في دعم مسيرة الثورة إعلاميا خاصة في الجانب الفكري ففي مرات عديدة كانت تنوه بقوة جيش التحرير الوطني و حنكة محاربيه و ربما للرفع من معنويات الجنود الجزائريين و زرع الخوف و الشك في القوات الفرنسية فتشيد البصائر في العدد 355 بالثورة فتقول[2]: " فالثورة الجزائرية التي لا تزال رغم الزوابع و الأمطار و الثلوج تعم و تشتد ، قد ردت على التحدي بمثله و رأيناها تقوم بأعمال في شرقي القطر و في غربه و جنوبه ، شهد لها رجال الحرية الفرنسية بالمهارة و البراعة و الرسوخ في فن حرب الكمين. "

ولقد كانت ثقة جبهة التحرير الوطني بالبصائر جلية ، و الحق أن البصائر ساهمت بقسط وافر في دعم مسيرة الثورة فمن عدد إلى آخر تؤكد أن مطلب الجزائريين هو الاستقلال و هو ما رفع من معنويات الثوار حيث أنها ركزت في أعدادها أن كل الجزائريين ثوار فالاستقلال مطلب الثائرين الذين يحملون السلاح ، و الثائرين الذين يحملون القلم و الذين يحملون القلب و اللسان و تزيد من حماسة الجزائريين ، حيث استمرت البصائر في الدعاية للثورة و سرد كل أخبار الثورة عسكريا و سياسيا و إعلاميا...[3]

[1] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 223.

[2] – جريدة البصائر ، ع 355، 24 فيفري 1956م، ص 1.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي ، في قلب المعركة ، المصدر السابق، ص 143.

و قد كتبت البصائر في عددها الأخير 361 ليوم 6 افريل 1956م مايلي [1]: " والبصائر سائرة إلى الأمام في خوض هذه المعركة الحاسمة التي يخوضها الشعب الجزائري المكافح لكسر قيوده و أغلاله ، واسترداد حريته و استقلاله و لن تحيد البصائر عن طريقها ولن ترجع قيد شعرة كما عاهدت الله عليه ، حتى تفوز بإحدى الحسنين ، حسن السيادة أو حسن الشهادة. " ، لكن السلطة الفرنسية قامت بتوقيفها نهائيا في افريل 1956م نظرا للدور الذي قامت به فكانت حقا كما قال الشيخ عبد الرحمان شيبان اللسان الرسمي للثورة الجزائرية .

المطلب الثاني: الدور السياسي لجمعية العلماء في تطور الثورة التحريرية داخليا

لقد كان لبيان 7 جانفي 1956م الذي أعلنت من خلاله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأييدها للثورة واعترافها بجبهة التحرير الوطني ، الأثر الهام في سير الجمعية و الثورة التحريرية لأنه لم يكن تأييدا سياسيا فقط بل كان فتوى دينية للجهاد ضد المحتلين و حتى الحكومة الفرنسية أولته أهمية بالغة و اعتبرته أولوية تأييد ديني رسمي للثورة الجزائرية[2] .

وكما قلنا سابقا هو تأييد سياسي لكن الحقيقة أن التأييد السياسي غير المعلن أو السري كان منذ اندلاع ثورة أول نوفمبر غير أن العلماء أكدوا في مبادئ الجمعية أنها غير معنية بالسياسة و ليس معنى ذلك أنها غير مهتمة بالسياسة فنجد الشيخ محمد خير الدين يؤكد أن الجمعية قد عملت في ميدان السياسة العامة فيقول[3] : " لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حزبا سياسيا و لم تعمل في ميدان السياسة الحزبية التي تكونت في بلادنا خلال فترة تأسيس الجمعية ، إنما عملت في ميدان السياسة العامة التي تهدف إلى توعية الأمة و تكوين المواطن الصالح و تبصيره بحقوقه في الحرية و الاستقلال ."

---

[1]– جريدة البصائر ، **مقال :** " البصائر تستقبل سنتها التاسعة "، ع 361، يوم 6 افريل 1956م ، ص 1.

[2]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، المصدر السابق، ص 225.

[3]– محمد خير الدين ، المصدر السابق، ص 285.

ويضيف احد تلاميذه جمعية العلماء أن هدف الجمعية سياسي ثوري فيقول[1]: " وقد اتفق روادها الأوائل المؤسسون لها على إخفاء البعد السياسي الثوري الذي يهدفون إليه وراء المقاصد الدينية و الثقافية التي أعلنوها في قانونها الأساسي "

و في نفس الطرح يذهب أبو قاسم سعد الله الذي يرى[2]:" أن العلماء رغم تعليمهم العربي و توجيههم الإسلامي إلا أنهم أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا وطنيا و هذا التحول فرضته السياسة الفرنسية نحو الثقافة و الشخصية الجزائرية، لذالك نجد أن الهدف السياسي الذي هو الاستقلال كان من أهداف جمعية العلماء و مؤسسها الإمام عبد الحميد بن باديس" ، فالشيخ العربي التبسي و بعد بيان جانفي 1956م و في الحديث مع جريدة (le monde) سألته عن تاريخ انضمامه للثورة فأجاب بان ذاك هو موقفه دائما أي مع الثورة أما كجمعية فالتأييد كان منذ جانفي 1956م مما بين أن العلماء كان هدفهم الرئيسي هو سياسي تحرير و استقلال الجزائر[3] .

لقد أعطى انضمام جمعية العلماء للثورة دفع للقضية الجزائرية ، بالنظر إلى مكانتها الدينية في أوساط الجزائريين و بالتالي قوت نفوذ جبهة التحرير ، كما أن نظرة الحكومة الفرنسية إليها تغير جذريا لأنها فقدت هدفا الذي كان يرتكز على خلق قوة ثالثة في مفاوضتها ومن ثمة إضعاف جبهة التحرير الوطني و نهاية الاتصالات و المفاوضات السياسة مع سوستيل ' Soustelle' وفقدت بذلك فرنسا ورقة التفاوض مع غير قيادة الثورة و أصبحت لا تجد من يقبل المفاوضة معها[4].

---

[1]– محمد صالح رمضان، جمعية العلماء المسلمين و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي، مجلة الثقافة، ع 83، الجزائر، أكتوبر 1984، ص36.

[2]– أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 385.

[3]–المرجع نفسه ، ص 386.

[4]– محمد عباس ، ثوار عظماء ، د.ط، مطبوعات دحلب ، الجزائر ، 1991، ص 139.

و يضيف احد الباحثين الفرنسيين أن انضمام العلماء إلى جبهة التحرير كان له أهمية كبيرة و استطاعت أن تتفوق على الحركة المصالية و الحزب الشيوعي الجزائري و قد ذكر فرحات عباس في هذا الصدد أن دخول حزبه مع جبهة التحرير و كذا جمعية العلماء هو الذي رسخ ذلك التفوق [1].

و قد صرح الشيخ البشير الإبراهيمي في فيفري 1956م بان الجمعية يجب أن تشارك بإمكانيات و حدود طاقتها في الكفاح ثم إن متابعة الكفاح على الصعيد السياسي و العسكري يتمركز أولا على النشاطات الدينية و الثقافية الحالية للعلماء ، وفي شهر أوت أعطت الجمعية الحرية الكاملة للانخراط في جبهة التحرير الوطني أو في جيش التحرير الوطني[2] .

و الحق أن النشاط السياسي الذي أبداه بعض شباب الجمعية كإبراهيم مزهودي و غيره كان لهم دور مهم في تفعيل الاتصال و نقل الأخبار بين المناضلين خاصة طلبة معهد ابن باديس ، و حسب احدهم فقد كانت الثورة تدب في نفوس الطلبة وان الحس الثوري كان نشيطا خاصة الذين اظهروا تحمسا كبيرا للثورة و المعهد قدم الكثير من الأبطال للثورة عكس ما يذكره البعض الأخر[3].

إن المتتبع للنشاط السياسي لرجال جمعية العلماء المسلمين من خلال استعراضنا لقوائم المجلس الوطني للثورة الجزائرية و لجنة التنسيق و التنفيذ ، حيث أن تمثيل العلماء كان ضعيفا فنجد توفيق المدني الذي أرسل في وفد القاهرة الوحيد من جمعية العلماء ضمن قائمة أعضاء المجلس الدائمين ، و من هنا يمكننا القول أن النشاط السياسي داخليا لأعضاء جمعية العلماء تضاءل بعد 1956م مقارنة بما كان قبل ذلك ، فنجد أن قيادة الثورة لما شرعت في تنصيب المجالس البلدية (لجنة الخمسة) فان بعض أفراد العلماء قد كلفوا بهذا المهام[4].

---

[1]– محمد عباس ، ثوار عظماء، المصدر السابق، ص 140.

[2]– محمد خير الدين ، المصدر السابق، ص 171.

[3]– محمد عباس ، المصدر نفسه، ص141.

[4]– محمد خير الدين ، المصر نفسه، ص 198.

إن الوثائق و الشهادات المتوفرة لدينا عاجزة عن إبراز الدور السياسي لعلماء خلال هذه الفترة هل هو غياب أم تغييب ؟ و هل هو إبعاد لهم أم تخوف من سلوكهم السياسي الإصلاحي الذي قد تستغله السلطة الفرنسية في محاولات تشبه ما كان من تفاوض مع "سوستيل" لان العدد الكبير لطلبة معهد ابن باديس و باقي التلاميذ من مناطق أخرى لا يمكن أن لا يكون له نشاط فعال ، أم أن نشاطهم كان في الجانب الثقافي و القضائي و التعليمي و الديني بحكم طبيعة تعلمهم في جمعية العلماء الدينية الإصلاحية[1].

[1]– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 387.

المطلب الثالث: الدور العسكري و المادي لجمعية العلماء في تطور الثورة الجزائرية داخليا

إن المتتبع للتطور العسكري للثورة منذ اندلاعها في أول نوفمبر 1954م يلاحظ أن هناك تطورا مستمرا في التنظيم و التسليح و القيادة خاصة بعد انعقاد مؤتمر الصومام حيث أصبحت الأمور العسكرية و حتى السياسية أكثر تنظيما ، لكن الملاحظ بالنسبة للمهام العسكرية المتعلقة بقادة المناطق أو الولايات أو نوابهم ، كانت مقتصرة في الغالب على أعضاء حركة الانتصار و بعض ممن ينتسبون لحزب البيان أما العلماء فنجد أن عددهم قليل جدا حتى أن بعض المصادر التاريخية لا تتحدث عنها تماما و رغم هناك من تلامذة الجمعية ممن يؤكدون مشاركة جميع فئاتها من طلبة و أعضاء و علماء في صفوف الجيش التحرير و جبهة التحرير الوطني ، إلا أن هناك من استدل بما كتبته البصائر عن انطلاق العمليات العسكرية كون أن البصائر و الجمعية ضد العمل الثوري و أنها مع الحل السلمي السياسي[1] .

لكن الرؤية بدأت لن تتضح من عدد لأخر و تضح أن العلماء لم يكن في نيتهم تعريض البصائر و الجمعية للمتابعة من طرف السلطة الفرنسية لكن سرد الأحداث العسكرية و نشاطات الثوار كان له دور إعلامي مهم في التعبئة الجماهيرية و الدعاية للثورة ، و الحقيقة انه يصعب علينا التحدث عن قضية التجنيد و العمل العسكري بالنظر إلى طبيعة جمعية العلماء في حد ذاتها و المعروف أنها سلكت طريق التربية و التعليم و الدفاع عن الدين و اللغة و الوطن[2].

لكن الحل العسكري لم يكن عند قادتها أو لم تفكر في الحل الثوري ، لكن مع هذا وبالنظر إلى التطورات التي صاحبت حرب العالمية الثانية و نشاط الحركات التحررية في العالم ، فقد تشجع مجموعة من الطلاب و شباب جمعية العلماء المسلمين لحمل السلاح و المشاركة في الثورة[3].

---

[1] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، المصدر السابق، ص 152.

[2] – تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين و رؤسائها الثلاثة، المرجع السابق، 383.

[3] – احمد توفيق المدني ، المصدر نفسه، ص 412.

كما أن تصريح الشيخ البشير الإبراهيمي في فيفري 1956م حيث أكد على مشاركة الجمعية بإمكانيات و حدود طاقتها في الكفاح و أن متابعة الكفاح على الصعيد السياسي و العسكري يتمركز أولا على النشاطات الدينية و الثقافية حاليا للعلماء ، ولقد أصبح الأمر واضحا لتدعيم الثورة بالموال و فيما يتمثل هذا فيبدوا أن تجربة جمعية العلماء المسلمين و أفرادها كبيرة بالنظر لما كانت تقوم به من جمع الأموال لمدارسها خاصة مع الثقة التي كانت تخطى بها لدى الجزائريين و قد تكون هي التي مهدت الطريق للثورة لجمع الأموال ، ومع توقف نشاط الجمعية فأصبح المجال فارغا أمام ممثلي جبهة التحرير الوطني[1].

و قد تم تكليف عدد من رجال الجمعية و طلابها بقدراتهم التنظيمية في جمع الأموال و الإعانات ، ولاكن كل هذا لا يعد إعانة مباشرة رسمية لجمعية العلماء ، الشيخ التبسي بعث بأموال لقيادة الثورة في الاوراس بناحية تبسة و شمال قسنطينة و ناحية عنابة ، لكن ليس هناك أدلة تبين أن المكتب الإداري لجمعية العلماء قد تسلم بصفة رسمية أي إعانة مالية لجبهة التحرير الوطني ، و لكن تبقى قضية أموال الجمعية مجهولة ، هل استولت عليها السلطة العسكرية الفرنسية التي داهمت المركز في معركة الجزائر بداية 1957م أم أن سلطاني المكلف بإدارة مركز الجمعية و شؤونها المالية قد استطاع إخراجها[2].

[1]– لحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (1954–1956)، المتحف الوطني ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار و جدة الطباعة، الجزائر ، ص.ص 292–293 .

[2]– تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين و رؤسائها الثلاثة ،المرجع السابق، ص 384.

لقد ساهمت جمعية العلماء و أعضائها في تجنيد عدد كبير من طلاب الجمعية إضافة إلى جمع المال الخاص في المرحلة الأولى أي قبل إعلانها تأييد الثورة في 7 جانفي 1956م و استمر بعد ذلك و لم يقتصر الأمر على مساهمة في التجنيد و جمع الأموال لكن هناك من انضم إلى هياكل الثورة و قيادتها العسكرية و تقلدوا مهاما عسكرية خاصة بعد البيان التاريخي لتأييد الثورة و جبهة التحرير الوطني ثم إعلان رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي من القاهرة بان جمعية العلماء انضمت إلى الثورة و جبهة التحرير الوطني في ربيع 1956[1].

ويمكن القول أن عناصر جمعية العلماء كان تواجدهما ضعيف في هياكل الثورة خاصة قيادة الولايات و القيادة السياسية و العسكرية العليا ، لكن رغم قلتهم إلا أن دورهم كان فعالا و أعطوا دافعا مهما لسير الثورة[2].

[1]– علي الكافي، مذكرات علي الكافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946– 1962)، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص 123.

[2]– المصدر نفسه، ص 124.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق عرضه و مناقشته خلال هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

قد ساهمت جمعية العلماء المسلمين في العمل السياسي و الثوري كمشاركتها في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في 7جوان 1936م و الذي اعتبر أول تجمع في الجزائر من نوعه كما شاركت فيه كل التيارات السياسية و الاجتماعية واعتبر من ابرز الأحداث في التاريخ الجزائر في قراراته التي كانت متواضعة.

و للجمعية موقع هام في الساحة السياسية كعلاقاتها بالأحزاب السياسية من خلال زعمائها كحزب نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب و غيرها من الأحزاب الوطنية ، كما توقفنا في هذا الجانب عند موقف الشيخ عبد الحميد ابن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي من الاستعمار الفرنسي .

و نستخلص أيضا أن السرية لإعداد الثورة ثم تفجيرها قد فاجأ الجميع و جعل الحيرة و الدهشة بادية على أوجههم، فجريدة البصائر التي تعتبر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين راحت تنقل الأحداث دون معرفة من كان وراء الهجومات المسلحة و قد خصصت في صفحاتها الأخيرة تحت عنوان "يوميات الأزمة الجزائرية " الذي يتضمن سير الثورة و نوعية الهجمات و رد فعل السلطة الفرنسية ، ومنذ بدايته سنة 1955م نشرت البصائر عدة افتتاحيات توحي بمساندة الثورة .

كما أدى إعلان جمعية العلماء تأييدها الرسمي لجبهة التحرير و الثورة في جانفي 1956م إلى غضب السلطة الفرنسية و التي كانت أدت ردة فعلها إلى غلق مدارسها و إدخال عناصرها إلى السجون واقتحام مقرها 1957م و اختطفت القوات العسكرية الشيخ العربي التبسي و اغتالته في افريل 1957م لأنها كانت تدرك مدى خطورته.

و نستخلص أيضا أن دور جريدة البصائر كان بارزا في التعريف بالثورة رغم أنها لم تقر بأنها ثورة في البداية لكن منذ بداية سنة 1955م خاصة عندما نشرت بيان المجلس الإداري لجمعية العلماء الذي انعقد في 7 جانفي 1956م و الذي أيد الثورة و اعترف بجبهة التحرير الوطني ، كما أنها قامت بسرد الحوادث العسكرية فذكرت العديد من المعارك في مختلف مناطق الوطن و تحدثت عن نشاط السياسي و الدبلوماسي لممثلي الثوار و جبهة التحرير .

ولقد لعب العلماء دورا سياسيا مهما في تطور الثورة داخليا خاصة فيما تعلق بالاتصالات ، و في شهر أوت 1956م أعطت الجمعية الحرية الكاملة للانخراط في جبهة التحرير الوطني أو في جيش الوطني مما أعطى أكثر حيوية للثورة و توسع القاعدة الشعبية .

و المتتبع للتطور العسكري للثورة يلاحظ أن عدد عناصر العلماء قليل جدا في المهام العسكرية المتعلقة بقيادة المناطق و الولايات و نوابهم، رغم أن عدد معتبر من الأساتذة و طلاب الجمعية التحقوا بصفوف الجيش التحرير الوطني و هناك من ساهم في جمع الأسلحة و تجنيد الشباب كما أن بعض المدارس التي هي تابعة للجمعية كانت مكانا لبعض الاجتماعات لمناضلي الجبهة و حتى لصناعة بعض المتفجرات ، أما فيما يخص جمع المال لصالح الثورة فان تجربة العلماء كانت كبيرة بالنظر إلى نشاطهم في إطار الجمعية لإعطاء دافعا مهما لسير الثورة.

خـــاتـمـــة

في ختام هذه الدراسة المتواضعة لموضوع البحث حول الحركة الإصلاحية و دورها في الثورة التحريرية توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تتمثل أساسا في:

أولا:

إن الحديث عن الحركة الإصلاحية يوجب علينا الوقوف عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد مثلت الحركة أحسن تمثيل و نالت ذكرا في التاريخ الحديث و المعاصر وهي الجمعية التي واجهت الصعاب و تشعر بعظمة المسؤولية الملقاة على عاتقها ، وقد سخرت لأجل تحقيق أهدافها العديد من المجالات و الجرائد و الصحف التي أصدرها علماء الجمعية قبل تأسيسها و بعده كالصراط و السنة و الإصلاح و الشهاب و البصائر و غيرها إلا دليل على النشاط الفكري الذي كان يمتاز به العلماء و دليل على أهمية الصحافة في نظرهم.

ثانيا:

أن جمعية العلماء عملت على إخراج الجزائر من الظلمات إلى النور، و من الجهل إلى نور العلم ، و من التقليد إلى التجديد ، ومن العبودية إلى الحرية فكانت هذه هي الأهداف التي انطلقت منها الجمعية ، و التي تعتبر أداة من أدوات الخير و الصلاح .

ثالثا:

إن الحركة الإصلاحية بالجزائر تعتبر بمثابة مشروع مجتمع جاء من اجل إحياء الحضارة العربية الإسلامية من الاندثار و الحفاظ على المقاومات الشخصية الجزائرية.

رابعا:

لقد وجدنا الفلسفة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في غاية الوضوح و الإشراق و القوة و الاعتدال ،سلفية مجددة ،عقلانية واقعية ،تجمع بين الأصالة و المعاصرة وبين الإتباع والاجتهاد و لاحظنا أن ما ميز نجاح الجمعية في جهودها الإصلاحية، هو أنها اختارت الحركة على خط الدعوة و المجتمع وهي حركة نحو العمق و الشمول والرسوخ ...الخ.

خامسا:

صراع الجمعية مع الطرق الصوفية كان بسبب آثارها الخطيرة في سائر الأمة كالتزهيد في العلم، وإفساد الفطرة ،وشل العزائم، و قتل الفضائل النفسية وتضعيف المدارك، و تخذير المشاعر، إلى غير ذلك من الرذائل وبسبب وقوف الطرقية معرقلا في وجه الحركة الإصلاحية ونهضة الأمة ،وبسبب أنها كانت يد مسخرة للاستعمار يقويها و يحميها.

سادسا:

الصلاح كما يرى ابن باديس هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من تغير و فساد ،هكذا كان ابن باديس و الجمعية تقيس معالم الأمور التي كان من بينها كما قلنا التصوف و الطرق الصوفية ،ولهذا نقول أن الجمعية قامت على تلك الطرق الصوفية المستعملة متطرف الاستعمار الفرنسي والتي كانت تساهم في تخذير المجتمع و تزييف وعيه و طيه عن النهوض من حالة ركوده التي أصابته .

سابعا:

أن جمعية العلماء عملت جاهدة من اجل الحد من الانحرافات الطرقية ومحاربتها ،تلك الانحرافات التي اعتبرتها الجمعية بدعة لا وجود لها لا في الدين الإسلامي و لا في عاداتنا المنبثقة من الدين الإسلامي .

ثامنا:

لا يعني أن الجمعية كانت في صراع مع كامل الطرق بل كانت كذلك في صف واحد مع أولئك الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا و تفاعلوا معه بعمق و جاهدوا في سبيله بصدق و حرصوا كل الحرص أن يمثلوه خير تمثيل .

تاسعا:

أن الجمعية لم تكن لتحارب الزوايا ،بل أنها كانت تشجع الزوايا التي تعلم الطلبة القرآن وحب الوطن وخير مثال على ذلك أن الشيخ ابن باديس قام بعدة زيارات لعدة زوايا في الجزائر ،وقد كانت زاوية طولقة الرحمانية من أوائل الزوايا التي زارها الشيخ ،وهي مقر للزوايا الرحمانية ،بمعنى انه كانت علاقة أخوة بين الجمعية و الزاوية الرحمانية .

عاشرا:

إن ابن باديس لم يكن يخفي عليه شرف بعض الطرق و فضلها على الجزائر كالطريقة القادرية التي أخرجت لنا أول مؤسس للدولة الجزائرية الحديثة، و الطريقة الرحمانية التي أذلت الاستعمار بقيادة شيخها الحداد رحمه الله .

الحادي عشر:

إن جمعية العلماء المسلمين كان صراعها مع الطرق المنحرفة عن تعاليم الدين الإسلامي ، وعملت جاهدة على محاربة تلك الانحرافات ،أما الطرق التي بقيت على الطريق الصحيح السوي فعلاقتها بالجمعية ظلت علاقة أخوية.

الثاني عشر:

كما لعبت كل من جمعية العلماء و الطرق الصوفية دورا ايجابيا في تاريخ الجزائر في سبيل استرجاع السيادة الوطنية و أن الجمعية قد أحيت الجزائر وبعثت فيها غريبتها التي كادت أن تغيب و إسلامه الذي كاد أن يقضى عليه.

الثالث عشر:

الدور الذي لعبته الجمعية دورا كبيرا في الحركة الإصلاحية خاصة في الجانب الثقافي و العلمي و الديني و لا يمكن إغفال مساهماتها في الحياة السياسية خلال النصف الثاني من ق 20 م، إذ أيدت رأيها في كل الأحداث و التطورات السياسية حيث ساندت و دعمت الثورة الجزائرية و الذي جاء تتويجا لنضال كل الجزائري(سياسيا و عسكريا وقافيا ، تربويا ، دينيا) .

الرابع عشر:

ومن خلال دراستنا لموقف ج ع م ج من الثورة عبر جريدة البصائر نستطيع القول إن التغطية الإعلامية التي خصصتها الجمعية للثورة على صفحات جريدة البصائر دليل على اهتمامها العميق بالحدث كمتغير جديد أولته اهتماما كبيرا حيث خصصت نسبة معتبرة من مساحتها التحريرية للحديث عن نشاط الثوار على الصعيد السياسي و العسكري في داخل و خارج البلاد.

الخامس عشر:

محاولة السلطات الاستعمارية الإحاطة بكل جهود دعم الثورة ، و نظرا للظرف التاريخي المتميز الذي كانت تمر به الثورة الجزائرية تحتم على جريدة البصائر مواكبة الأحداث بكل أبعادها لضمان تغطيتها بشكل كامل ومستمر و نقل صداها إعلاميا على المستويين الداخلي و الخارجي ، هذا ما تعكسه الساحة الكبيرة التي خصصتها الجريدة لمعالجة المواضيع المتعلقة بالثورة مقارنة مع باقي المواضيع الأخرى التي تضمنتها صفحات الجريدة ، كما يشير هذا من جهة أخرى إلى مدى تفاعل و تعاطف محرري جريدة البصائر مع انجازات الثوار في ساحات القتال.

السادس عشر:

لقد وظفت جريدة البصائر لتحقيق هدف مسايرة الثورة إعلاميا مختلف أنواع الصحيفة مثل: الأخبار ، التعاليق، المقالات التحليلية و النقدية ، افتتاحيات ...الخ

السابع عشر:

يتضح الموقف المؤيد للثورة الجزائرية بالنظر لحجم المساحة المعتبرة التي خصصتها جريدة البصائر لإبراز موقفها من الثورة الجزائرية ، من خلال متابعة أحداثها و عرض تطوراتها و المرافعة لمطالبها و الداعمة لاستقلال الجزائر وطنا وشعبا.

الثامن عشر:

لقد كانت البصائر السجل الحافل بأحداث التاريخ الجزائري، كما كانت ذالك الملتقى الذي جمع الجزائر و الحافظ الأمين لعلمهم المنشور.

التاسع عشر:

إن جمعية العلماء عرفت منعطف و تحولات بعد أحداث 8 ماي حتى اندلاع الثورة ، لما أحدثته هذه الانتفاضة الشعبية العارمة كما ولدت لديها قناعات بضرورة البحث عن الوسيلة الانجح لتوحيد صفوف الجزائريين محاولين الاقتراب أكثر من القادة السياسيين و إقناعهم بتطورات جديدة للوضع السياسي و العسكري في البلاد ، و قد فرضت عليها اتخاذ موقف من هذا و كانت انطلاقة تبلور الموقف السياسي حيث كانت وقائع الأحداث تتماشى مع سير السياسة من خلال نشاطها الإعلامي و تقترح شيء فشيئا من الحقيقة التي ظلت الأحزاب السياسية تدعي جهلها.

العشرون:

وتكتب جريدة البصائر تأييدها للثورة عن وقائع أول نوفمبر أحداث تعبر عن ظهور شيئا ما في البلاد ما يزال غامضا و تعلن تأييدها و دعمها للثورة بعد أن تبين لها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر كما كانت تكتبه في مقالاتها حول أحداث الفاتح من نوفمبر و هي طبيعة الثورة الجزائرية و التي ظلت صحيفة البصائر تكتب عنها و تغير مسار الاتجاه الديمقراطي للبيان الذي كان يدعو إلى إنشاء جمهورية متحدة مع فرنسا.

الواحد و العشرون:

إن الثورة الجزائرية استطاعت بخططها و إستراتجيتها و بعد نظرة قادتها من توحيد صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد أن كانت متصارعة كما استطاعت و استنفرت أن توحد الجماهير الشعبية تحت العلم الوطني.

الثاني و العشرون:

و يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين في الثورة الجزائرية لم تنصهر انصهارا كليا، و إنما ظلت محافظة على مبادئها السياسية الخاصة حتى استرجاع الاستقلال الوطني و حاولت أن تفيد تأسيس نفسها من جديد كحزب مستقل.

الملاحق

الملحق 01:

ذكرى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (5 ماي 1931م)[1]

[1]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 4.

الملحق 09:

الملحق 06:

الشيخ ابن باديس و الشيخ الطيب العقبي[1]

[1]– احمد توفيق المدني، حياة كفاح ، المصدر السابق، ص 37.

الملحق 09:

الملحق 08:

جنازة الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس افريل 1940م[1]

[1] https://www.google.dz/search -

الملحق 09:

الملحق 04:

العلامة عبد الحميد ابن باديس قائد الحركة الاصلاحية و مؤسسها بالجزائر[1]

[1]– عمار طالبي ، المصدر السابق ، ص7 .

الملحق 09:

الملحق 09:

الملحق 09:

بيـــــــان

من المؤتمر السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلمـــاء المسلمـــين الجزائريين المنعقد يوم السبت الموافق 7 يناير سنة 1956 بعاصمة الجزائر قرر المجتمعون بالاجماع البيان التالي :

نحن المجتمعين من أعضاء جمعية العلمـــاء المسلميـــن الجزائريين :

نعلن بكل صراحة ان الاستعمار المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ سنة 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت في القطـر الجزائري ، وذلك بما احدثه فيه من ميز عنصري مخجل ، وما سلكه فيه من سياسة التفقير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الاسلامي ، وما حارب به الدين الاسلامي في اقدس مقدساته ، وما اجهز به عـلى التعليم العربي القرآني في كل جهة من جهاته ، وما تعمده من محق جنسية الأمة ومحاولته ابتلاعها ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها ، وما اعلنه مرارا رغم ارادتها ، من الحاقها وادماجها ، الى أن أوصل الأمة بكل ذلك الى درجة اليأس فعمدت الى الأعمال التي يوجبها اليأس .

ونرفع عقيرتنا بالاحتجاج الصارم العنيف على ما ارتكب في مختلف جهات البلاد من اعمـــال البطش والارهـــاب والتنكيل ، وما وقع من الفظائع والفضائح والمنـــكرات ، بدعوى الزجر ومحاولة اخماد الثورة .

---

[1]- احمدطالب الإبراهيمي، أثار الشيخ البشير الإبراهيمي ' عيون البصائر'، ج3، ص8.

الملحق 09:

الملحق 09:

ونؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ، والاقدام على بناء النظام الحر الجديد ، الا بواسطة التفاهم الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد ، الذين أظهرهم الكفاح الجزائري .

ونوصي الأمة ختاما بالحق ، ونوصيها بالصبر . ونستحثها على العمل الصالح ، والثبات وتوحيد الصفوف ، ونسيان الخلافات القديمة ، حتى تستطيع متحدة متظافرة أن تصل قريبا الى الدرجة الرفيعة التي أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب ، وكفاحها الشريف الذي أصبح في العالم مضرب المثل . وتاريخها الحافل بجلائل الاعمال .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ».

و « لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .

والسلام على الأمة العربية الحبيبة الماجدة ورحمة الله .

1

[1] -

الملحق 09:

الملحق : 07

جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العدد 198[1]

[1] - http://wwwiFoxSoft.com

الملحق 09:

Trial version of Photo Collage
http://www.iFunSoft.com
البصائر
أخبار الشعب

قائمـــة
البيبليوغرافيا

القران الكريم

المصادر و المراجع :

أولا: المصادر :

ا- باللغة العربية:

1- الإبراهيمي محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، د.ط، دار المعرفة، قسنطينة، 1935م.

2- الإبراهيمي احمد طالب، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929-1940م)،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

3- الإبراهيمي احمد طالب، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1940-1952م)،ج2، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

4- الإبراهيمي احمد طالب، أثار الإمام البشير الإبراهيمي(عيون البصائر)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

5- الإبراهيمي احمد طالب ،أثار الإمام البشير الإبراهيمي(1952-1964م)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

6- الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة(1954-1964م)، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007م.

7- ابن باديس عبد الحميد، أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، ج1، د.ط، وزارة الثقافة العربية، الجزائر،2007م.

8- ابن باديس عبد الحميد، أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، ج4، ط1، وزارة الثقافة العربية،الجزائر،2007م .

9- بن العقون عبد الرحمان، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر(1936-1980م)، د.ط ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984م.

10- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعة العلماء المسلمين الجزائريين، د.ط، دار المعرفة،الجزائر، 2009م.

11- خير الدين محمد، مذكرات الشيخ خير محمد خير الدين،ج1، ط3، مؤسسة الضحى الجزائر، 2009م.

12- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

13- الكافي علي، مذكرات علي الكافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري(1946-1962)، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م.

14- المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر،د.ط، مطبعة العربية، د.م.ن، د.س.

15- المدني احمد توفيق، حياة كفاح، مذكرات(1925-1954)، ج2، د.ط،عالم المعرفة، الجزائر،2010م.

16- المدني احمد توفيق، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م.

17- الميلي محمد مبارك، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، د.س.

18- الميلي محمد مبارك، رسالة الشرك و مظاهره،تح.تع:أبي عبد الرحمان محمود، ط1، دار الراية، المملكة العربية السعودية،2001م.

19- الميلي محمد مبارك، المؤتمر الإسلامي الجزائري، د.ط، دار الهومة، الجزائر، 2007م.

20- الورتيلاني فضيل، الجزائر ثائرة، ط4، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Ben Jamine Stora ; Messali Hadj, Édition l'harmattan, paris, 1986.

2- Ben Yousef Ben Khedda ; les origines du 1er Novembre, Édition Dahleb, Alger, 1989.

3- Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérien ; Question national et politique Algérienne(1919) Alger, 2ème Édition, 1993.

ثانيا: المراجع :

ا- باللغة العربية:

1- أبو لحية نور الدين، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما، ج1، ط2، دار الأنوار للنشر و التوزيع، د.م.ن، 2016م.

2- اجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871-1919م)،ج1، طبعة خاصة، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007م.

3- أقيس خالد، الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ج3، د.ط، دار الهدى، الجزائر،2011.

4- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

5- بوصفصاف عبد الكريم، الفكر العربي الحديث و المعاصر(محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا)، ج1، د.ط، دار مداد، قسنطينة، 2009م.

6- بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

7- بومالي لحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى(1954-1956م)، المتحف الوطني، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار و جدة الطباعة، الجزائر، د.س.

8- بونابي طاهر، التصوف في الجزائر خلال ق(6-7هـ)-(12-13م)، د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، 2000م.

9- الخطيب احمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

10- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام(1921-1975م)، ج2، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة،1976م.

11- سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930م)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

12- سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1930-1945م)، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.1992م.

13- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.

14- سعد الله أبو قاسم، خلاصة الجزائر المقاومة و التحرر(1830-1962م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2007م.

15- شاوش محمد رمضان والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ط2، مطبعة داود بريكس، الجزائر، 2001م.

16- طالبي عمار، أثار ابن باديس، ج1، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف و الترجمة والطباعة و النشر و التوزيع، الجزار، 1968م.

17- طهاري محمد، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2010م.

18- العسلي بسام، عبد الحميد ابن باديس و بناء قاعدة الثورة التحريرية، د.ط، دار النفائس، بيروت، 1982م

19- عباس محمد، ثوار عظماء، د.ط، مطبوعات دحلب، الجزائر، 1991م.

20- عمامرة رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية(1931-1956م)، دراسة تربوية لشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

21- عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر،2002م.

22- عمامرة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2003م.

23- عمامرة رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956م)، ط1، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004م.

24- عمامرة رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و رؤسائها الثلاثة(1931-1956م)، ط1، دار موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004م.

25- علي محمد الطاهر، التعليم التبشيري الجزائري من(1830-1962م)، د.ط، دحلب، الجزائر، 2009م.

26- عباس فرحات، حرب الجزائر و ثورتها(ليل الاستعمار)، تر: فيصل الأحمر، طبعة خاصة، دار المسك، 2010م.

27- الفلوسي مسعود، البعد الاجتماعي و السياسي في التجربة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، د.ط، جامعة باتنة، د.س.

28- فضلاء محمد الطاهر، التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984م.

29- فضلاء محمد الطاهر، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1984م.

30- فضلاء محمد الحسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، د.ط، دار الهومة، الجزائر، 2000م.

31- فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر(1830-1925م)، د.ط، مديرية النشر، جامعة قالمة،2010م.

32- قاسم محمود، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي للحرب التحرير الجزائرية، ط2، دار المعارف، القاهرة،1979م.

33- رمضان صالح محمد، الإمام عبد الحميد ابن باديس و من آرائه و مواقفه، د.ط، الجزائر، دار البعث، 1983م.

34- زوزو عبد الحميد، الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين(1919-1939م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

35- الميلي محمد مبارك، ابن باديس و عروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980م.

36- مريوش احمد، الشيخ طيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار الهومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Ben Jamine Stora Et Zakia Daoud, Ferhat Abbas, Édition Casbah, Alger, 1995.

2- Saleh Ferkous, L'histoire de l'Algérie des phéniciens à l'indépendance(1962), maison séances, Édition et Distribution, Annaba, 2007.

3- Mohamed Harbi ; Une vie debout, Mémoire politiques (1954-1962), Casbah, Édition Alger, 2011.

4- Mohamed Harbi ; La Guerre commence en Algérie, Édition Complexe ; Paris, 1984.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- أحلام بالوالي، أدب المقال عند البشير الإبراهيمي(عيون البصائر نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة البويرة، 2014م.

2- العرفي رحيمة.بوثلجة مريم، الدور السياسي للحركة الإصلاحية في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية، قسم علوم الإنسانية، إشراف حفظ الله بوبكر ، جامعة العربي التبسي، تبسة، السنة الدراسية، 2008-2009م.

3- علي حشلاف، المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها(1931-1939م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام و الاتصال، الجزائر، 1994م.

رابعا: مقالات ضمن الدوريات و المجالات

1- بن دياب احمد، العربي التبسي و النهضة العلمية في الجزائر، مجلة الأصالة،ع8، ماي-جوان1972م.

2- جريدة البصائر، **مقال:** "حوادث ليلة الليلاء"، ع292، يوم 5 نوفمبر 1954م.

3- جريدة البصائر، **مقال:** " لنجابه الحقائق بالحكمة و العقل "، ع293، يوم 19 نوفمبر 1954م.

4- جريدة البصائر، **مقال:** " كلا لا يجب أن تنتصر الرجعية "، ع294، يوم 26 نوفمبر 1954م.

5- جريدة البصائر، **مقال:** " يوميات الأزمة الجزائرية "ع298، يوم 27 ديسمبر 1954م.

6- جريدة البصائر، **مقال:** " السنة الجديدة من حياة البصائر "،ع316، يوم 29 افريل 1954م.

7- جريدة البصائر، **مقال:**" فأخذتم الصيحة "،ع351، يوم 27 جانفي 1956م.

8- جريدة البصائر، **مقال:** " الاستقلال غايتنا و الحرية هدفنا "، ع354، يوم 17 فيفري 1956م.

9- جريدة البصائر، **مقال:** " البصائر تستقبل سنتها التاسعة "ع361، يوم 6 افريل 1956م.

10- رمضان محمد صالح، جمعية العلماء المسلمين و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي، مجلة الثقافة، ع83، الجزائر، اكتوبر1984م.

11- زوزو عبد الحميد، **مقال:** " حوادث 8 ماي 1945 "،ع109، أوت 1995م.

12- شيبان عبد الرحمان، الشيخ أبو يعلى الزواوي إمام المصلحين(1866-1952م)، البصائر،ع250، يوم 25 جويلية- 1اوت 2005م.

13- الميلي محمد مبارك، فرحات عباس بين باريس و القاهرة، مجلة الحدث العربي و الدولي،ع24، طبع مجموعة كورلي، باريس، نوفمبر2002م.

14- ملين فؤاد، جريدة البصائر، **مقال:** " مقام الإصلاح في فلسفة جمعية العلماء المسلمين، ع728، يوم 3-9 نوفمبر 2010م.

خامسا: المعاجم:

1- ابن المنظور، لسان العرب، ج7، ط1، دار الصادر، بيروت، 1999م.

سادسا: الجرائد:

1- جريدة البصائر،ع4، بتاريخ 29 أوت 1936م.

2- جريدة البصائر، ع8، بتاريخ 21 فيفري 1947م.

3- جريدة البصائر،ع10،بتاريخ 13اكتوبر 1947م.

4- جريدة البصائر، ع13، بتاريخ 10 نوفمبر1947م.

5- جريدة البصائر، ع208، السلسلة الرابعة، بتاريخ 11 أكتوبر 2004م.

6- جريدة البصائر، ع301، يوم 7 جانفي 1955م.

7- جريدة البصائر، ع302، يوم 21 جانفي 1955م.

8- جريدة البصائر، ع303، يوم 28 جانفي 1955م.

9- جريدة البصائر، ع315، يوم 22 افريل 1955م.

10- جريدة البصائر، ع355، يوم 24 فيفري 1956م.

11- جريدة البصائر، ع361، يوم 6 افريل 1956م.

12- جريدة البصائر، ع806، يوم 2-8 ماي 2016م.

13- مجلة الشهاب، ج12، ع11، مارس 1936م.

14- مجلة الشهاب، ج3، ع12، جوان 1936م.

سابعا: مواقع من شبكة الانترنيت:

1- http://www.iFoxsoft.com

2-https://www.google.dz/search

فهرس
الموضوعات

شكر و عرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....ا- ح

مدخل: أوضاع العامة للجزائر قبيل 1930م.....10

1- الوضع الثقافي.....10-12

2- الوضع السياسي.....13-14

3- الوضع الديني.....15-16

الفصل الأول : الحركة الإصلاحية بالجزائر

المبحث الأول: تعريف الحركة الإصلاحية.....18

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح 18-21

المطلب الثاني: نشأة الحركة الإصلاحية.....22-24

المطلب الثالث: رواد الحركة الإصلاحية.....

المبحث الثاني : نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....

المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين .....

المطلب الثاني: أهداف جمعية العلماء و مبادئها.....31-34

المطلب الثالث: تنظيمات الجمعية ووسائلها .....

المبحث الثالث : الطرق الصوفية و الزوايا.....

المطلب الأول: نشأتها.....

المطلب الثاني: دور الطرق الصوفية بالجزائر.....

المطلب الثاني: علاقة جمعية العلماء بالطرق الصوفية و الزوايا.....

الفصل الثاني : مسار الجهاد السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....

المبحث الأول : إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العمل السياسي و الثوري.....

المطلب الأول: مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي 1936م.....

المطلب الثاني: موقع الجمعية في الساحة السياسية و علاقتها بالأحزاب من خلال زعمائها.....

المطلب الثالث: جمعية العلماء و العمل الثوري.....

المبحث الثاني : موقف الجمعية من اندلاع الثورة التحريرية 1954م.....

المطلب الأول: موقف جريدة البصائر من اندلاع الثورة التحريرية 1954م.....

المطلب الثاني: موقف إدارة جمعية العلماء في الداخل من اندلاع الثورة .....

المطلب الثالث: موقف الإدارة الفرنسية من انضمام جمعية العلماء للثورة التحريرية.....

المبحث الثالث : دور جمعية العلماء في تطور الثورة الجزائرية داخليا.....

المطلب الأول: دور جريدة البصائر في دعم الثورة التحريرية .....

المطلب الثاني: الدور السياسي لجمعية العلماء في تطور الثورة داخليا.....

المطلب الثالث: الدور العسكري و المادي لجمعية العلماء في تطور الثورة الجزائرية داخليا.....

خاتمة 141-146

الملاحق.....149-155

قائمة البيبليوغرافيا.....157-161

فهرس الموضوعات.....165